كتاب السلام

١٣١ ـ باب فضل السلام والأمر بإفشائه

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [النور: ٦١].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ ﴾ [النساء: ٨٦].

وقال تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٤، ٢٥].

الشرح

قال المؤلف رحمه الله تعالى في كتابه **رياض الصالحين**: (كتاب السلام) السلام: يريد به التحية التي شرعها النبي ﷺ لأمته.

والسلام: بمعنى الدعاء بالسلامة من كل آفة، فإذا قلت لشخص: السلام عليك فهذا يعني أنك تدعو له بأن الله يسلمه من كل آفة: يسلمه من المرض، يسلمه من الجنون، يسلمه من شر الناس، يسلمه من المعاصي وأمراض القلوب، يسلمه من النار، فهو لفظ عام. معناه: الدعاء للمسلَّم عليه بالسلامة من كل آفة.

وكان الصحابة رضي الله عنهم من محبتهم لله عزَّ وجلَّ كانوا يقولون في صلاتهم: السلام على الله من عباده، السلام على جبريل، السلام على فلان وفلان، فنهاهم النبي ﷺ أن يقولوا: السلام على الله من عباده، وقال: «إن الله هو السلام»، يعني: السالم من كل عيب ونقص ـ جلَّ وعلا ـ فلا حاجة أن تثني عليه بالدعاء بأن يُسْلِمَ نَفْسَهُ. ثم قال لهم: قولوا: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض»[(١)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب من سمّى قومًا أو سلم في الصلاة على غيره، رقم (١٢٠٢).

ولا أدري هل نحن نستحضر هذا إذا قلنا في الصلاة: «**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**؟!» لا أدري هل نحن نستحضر أننا نسلم على أنفسنا، السلام علينا، وعلى كل عبد صالح في السماء والأرض، يعني نسلم على الأنبياء، نسلم على الصحابة، نسلم على التابعين لهم بإحسان، نسلم على أصحاب الأنبياء؛ كالحواريين أصحاب عيسى، والذين اختارهم موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ سبعين رجلاً، وغير ذلك؟! هل نحن نستحضر أننا نسلم على جبريل وعلى ميكائيل وعلى إسرافيل وعلى مالك خازن النار وعلى خازن الجنة وعلى جميع الملائكة؟! لا أدري هل نحن نستحضر هذا أم لا؟ إن كنا لا نستحضر فيجب أن نستحضر ذلك.

لأن الرسول ﷺ قال: «إنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض».

والسلام مشروع بين المسلمين، مأمور بإفشائه، قال النبي ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[١] يعني أظهروه وأعلنوه، وصدق رسول الله ﷺ فإن إفشاء السلام بين الناس من أسباب المحبة، ولذلك إذا لاقاك رجل ولم يسلم عليك كرهته، وإذا

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل إلا المؤمنون... رقم (٥٤).

سلم عليك أحببته ـ وإن لم يكن بينك وبينه معرفة ـ ولهذا كان من حسن الإسلام أن تفشي السلام، على من عرفت أو أن تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ آيات من كتاب الله منها:

١ ـ أن السلام من سنن الرسل والملائكة أيضًا، فهؤلاء الملائكة الذين جاءوا لإبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]، ذكر علماء النحو أن إجابة إبراهيم أكمل من سلام الملائكة؛ لأن الملائكة قالوا: ﴿سَلامًا﴾. بالنصب، وسلامًا مصدر لفعل محذوف تقديره: نسلم سلامًا، فالجملة فعلية وهي لا تدل على الدوام والثبوت، أما رد إبراهيم فقال: ﴿سَلامٌ﴾. أي عليكم سلام، فهي جملة اسمية تدل على الثبوت، فرده أكمل، ولهذا يعتبر رد إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الرد الأكمل الذي قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فيه: ﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]، فتبين في هذا أن السلام من سنن الرسل السابقين، وأنه أيضًا من عمل الملائكة المقربين.

٢ ـ ثم ذكر المؤلف أيضًا آيات تدل على ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

فإذا أردت أن تدخل بيتًا لا تدخل إذا لم يكن بيتك، حتى تستأنس وتسلم، حتى لا يكون في قلبك وحشة؛ لأن الإنسان إذا دخل بيت غيره بدون استئذان استوحش، وإذا كان باستئذان فهو مستأنس، هذا وفي قراءة أخرى ﴿حتى تستأذنوا﴾ . لكن السبعية ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ . وهي أعم؛ لأن قوله: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ . يشمل ما إذا استأنس الإنسان بإذن من صاحب البيت، أو استأنس الإنسان بإذن سابق.

مثلاً قال له: ائتني الساعة الرابعة والنصف وتجد الباب مفتوحًا، فإذا جئت في الساعة الرابعة والنصف ووجدت الباب مفتوحًا فلا حاجة لأن تستأذن؛ لأني الآن مستأنس؛ لأن عندي إذن مسبق، فقراءة ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ . هي الصحيحة، يعني: هي التي أشمل من قراءة ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْذنوا﴾ وأيضًا هي السبعية.

وقوله: ﴿وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ﴾ . أيضًا تسلم على أهل البيت: السلام عليكم. . أأدخل؟ وإذا دخلت بيتك فلا حاجة للاستئذان؛ لأنه بيتك ولكن سلم على أهلك إذا دخلت، وابدأ بالسواك قبل السلام، فإذا وصلت أهلك قل: السلام عليكم. هذه هي السنة التي جاءت عن رسول الله ﷺ.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ

دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤، ٢٥].

﴿هَلْ أَتَاكَ﴾. مثل هذه الصيغة «هل أتاك» يراد بها التشويق، يعني أن الله عزَّ وجلَّ ذكرها بصيغة الاستفهام تشويقًا للمخاطب، ومن المعلوم أن الإنسان سيقول: لا لم يأتني؛ لأن الصيغة جاءت بالزمن الماضي.

وقوله: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾. يعني أنتم قوم منكرون، أي: لا أعرفكم، وليس المعنى أنه من المنكر الذي هو الحرام، لكنه من المنكر الذي هو غير معروف يعني: أنا لا أعرفكم.

٤ ـ ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾. يعني على من فيها، وجعلهم من أنفسهم؛ لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا[1]، فهو كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التوبة: ١٢٨]، فالمعنى إذن: سلموا على من فيها؛ لأنكم أنتم وإياهم نفس واحدة.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم (٤٨١)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (٢٥٨٥).

والنفس قد تطلق على الغريب كما ذكرناه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، يعني: لا يلمز بعضكم بعضًا، وليس المعنى أن الإنسان يلمز نفسه.

والحاصل أنك إذا دخلت بيتًا فسلم على من فيه قل: السلام عليكم، وهم يجب عليهم أن يردوا السلام، وقد سبق أن السنة إذا دخلت بيتك أن أول ما تبدأ به أن تتسوك، ثم تسلم على أهل البيت.

ومنها ـ أي من الآيات التي ذكرها المؤلف ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

فأمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ إذا حيينا بتحية أن نحيي بأحسن منها أو نردها، يعني نرد مثلها. فمثلاً: إذا قال لك إنسان: السلام عليكم، فقل: عليك السلام ولا تقتصر، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقل: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته. وجوبًا؛ لأن الله تعالى قال: ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾.

وإذا قال: السلام عليكم. فقلت: عليكم السلام ورحمة الله. فهذا أحسن من الأول، وهذا أفضل، لكنه ليس بواجب، الواجب أن ترد عليه بمثل ما سلم عليك.

وقوله ـ سبحانه ـ ﴿ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ ﴾. يشمل الأحسن نوعًا، والأحسن كمًّا، والأحسن كيفية. ثلاثة أشياء الأحسن نوعًا وكمًّا وكيفية. فمثلاً إذا قال: السلام عليك. فقلت: أهلاً ومرحبًا بأبي فلان حيَّاك الله وبيَّاك تفضل. فهذا لا يجزئ ولو قلت هذا ألف مرة فلن ينفع، وكنت آثمًا؛ لأنك لم ترد بأحسن ولا بالمثل، فمن يقول لك: السلام عليك، يدعو لك بالسلام مع التحية، فإذا قلت: أهلاً ومرحبًا، فهذه تحية بلا دعاء، فلابد أن تقول أحسن منها نوعًا، أحسن منها كمًّا، أو مثلها، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله. فقلت: عليك السلام فقط. فهذا لا يجوز؛ لأنك ما رددت بأحسن ولا بالمثل، لابد أن تقول كما قال.

كذلك أحسن منها كيفية: إذا سلم عليك بصوت واضح مرتفع لا ترد عليه بطرف أنفك.

ومن ذلك أيضًا: إذاسلم عليك وقد أقبل إليك بوجهه فسلمت عليه معرضًا عنه مصعرًا خدك له، فهذا أيضًا نقص، لم تردها، ولم ترد بأحسن منها.

وظاهر هذه الآية الكريمة: أنه لو حياك رجل من الكفار فقال: السلام عليك بعبارة واضحة فقلت: وعليك السلام، فلا بأس بها؛ لأنك رددت بالمثل، وأما قول النبي ﷺ: «**إذا سلم عليكم أهل**

الكتاب فقولوا: وعليكم»[١]. يعني ولا تقولوا: وعليكم السلام، فإنه بين ﷺ في نفس الحديث سبب ذلك فقال: «إن اليهود إذا سلموا عليكم يقول أحدهم: السام عليكم»[٢]، وما السام؟ السام هو الموت، يقولون: السام عليك. يعني يدعون بالموت عليك، فقال الرسول ﷺ: «قولوا: وعليكم» يعني: إذا قالوا: السام عليك، فقل: وعليك، يعني عليك أيضًا أنت السام، فيفهم من هذا الحديث أنهم لو قالوا: السلام عليكم، فإنك تقول: وعليكم السلام. ولا بأس؛ لأن الله قال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]، والله الموفق.

* * *

١/٨٤٥ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رجلاً سَأل رسول الله ﷺ: أيُّ الإسْلام خَيْرٌ؟ قال: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرف» متفقٌ عليه[٣].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب كيف يرد على أهل الذمة السلام، رقم (٦٢٥٨)، ومسلم، كتاب السلام، باب النهي عن عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام. . ، رقم (٢١٦٣).

(٢) رواه مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، رقم (٢١٦٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام، رقم (١٢)، ومسلم، =

الشرح

سبق الكلام على الآيات التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتاب السلام وآدابه في هذا الباب، ثم ذكر الأحاديث ومنها:

١ ـ حديث: عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ سئل: أي الإسلام خير؟. والصحابة رضي الله عنهم إذا سألوا الرسول في مثل هذه الأسئلة لا يريدون مجرد العلم، وإنما يريدون العمل، فإذا قال: خير الإسلام كذا وكذا فعلوه وتسابقوا إليه، وهكذا ينبغي للسائل الذي يسأل العالم ويستفتيه أن ينوي بقلبه أنه إذا دلَّه على الخير فعله ـ كما كان دأب الصحابة رضوان الله عليهم ـ لا يريد أن ينظر ماذا عند العالم فقط، بل يريد أنه إذا دلَّه على الخير فعله كما كان ذلك دأب الصحابة رضي الله عنهم، فقال النبي ﷺ: «**تطعم الطعام**» يعني: من احتاج إليه، وأول من يلزمك إطعامه هم عائلتك، وإطعامهم صدقة وصلة وأفضل من إطعام الأباعد؛ لأن إطعام أهلك قيام بواجب، وإطعام الأباعد قيام بمستحب، والواجب أحب إلى الله تعالى من المستحب كما في الحديث القدسي: «ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت

= كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أمور أفضل، رقم (٣٩).

عليه»[١] وبعض الناس ينفق على أهله ما ينفق ولكنه لا يشعر بأنه يتقرب إلى الله بهذا الإنفاق، ولو جاءه مسكين وأعطاه «ريالاً واحدًا» شعر بأنه متقرب إلى الله بهذه الصدقة، ولكن الصدقة الواجبة على الأهل أفضل، وأكثر أجرًا، فإذا أطعمت الطعام لأهلك فهذا من خير الإسلام.

وقال: «وتقرأ السلام» وهذا هو الشاهد. تقرأ السلام: يعني تقول: السلام عليكم؛ هذا معنى قراءة السلام؛ يعني هذا يسمى إلقاء السلام، ويسمّىٰ قراءة السلام.

«على من عرفت ومن لم تعرف»: لا يكن سلامك سلام معرفة، بل يكن سلامك سلام مثوبة وألفة؛ لأن المسلم يُثاب على سلامه ويحصل بسلامه التأليف كما قال النبي ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[٢]، أما من لا يسلم إلا سلام معرفة فسوف يفوته خير كثير؛ لأنه ربما مرَّ به العشرات لا يعرف منهم إلا واحدًا، أما من يسلم سلام مثوبة وألفة فهو يسلم على من عرف ومن لم يعرف إلا إذا كان الذي مررت به كافرًا فلا تسلم عليه؛ لأن النبي

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (٦٥٠٢).
(٢) سبق تخريجه ص(٣٨١).

ﷺ قال: «**لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام**»[١] وغيرهم أخبث منهم مثل السيخ والمشركين والشيوعيين ومن شابههم، فلا تقرأ عليهم السلام، ولا تسلِّم عليهم، أما الفاسق المعلن بفسقه - فإذا كان في ترك السلام عليه مصلحة كأن يتوب من فسقه ويرجع إلى الله - فلا تسلم عليه، أما إذا لم يكن هناك مصلحة فسلم عليه، وأما إذا كان الأمر عنده واحد بل ربما إذا لم تسلم عليه يكون في قلبه عداوة عليك ويستمر في باطله ولا يقبل منك نصيحة فسلِّم عليه.
فصار الناس ثلاثة أقسام:

قسم فاسق معلن بفسقه: فهذا سلِّم عليه إلا إذا كان في هجره مصلحة.

وقسم كافر: لا تسلم عليه، لكن إن سلم عليك فرد عليه.

والثالث: إنسان مسلم لا تعلم عليه فسقًا فسلم عليه، واحرص على أن تكون أنت البادئ بالسلام؛ لأن النبي ﷺ كان يبدأ من لقيه بالسلام - وهو أشرف الخلق - وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض**

(١) رواه مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام...، رقم (٢١٦٧).

هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[١]. وهكذا الحديث «خير الإسلام أن تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»، والله الموفق.

* * *

٢/ ٨٦٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُه سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قال: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولئكَ ـ النَّفَر مِنَ المَلائِكَةِ جُلُوس ـ فاسْتَمِعْ ما يُحِيُّونَكَ، فَإِنَّها تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ. فقال: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فقالوا: السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ الله، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ الله» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

الشرح

ذكر المؤلف النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين في باب فضل السلام وإفشائه حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لما خلق آدم قال له: «**اذهب فسلِّم على أولئك النفر من الملائكة ـ جلوس ـ فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية**

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الهجرة، رقم (٦٠٧٧)، ومسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، رقم (٢٥٦٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، رقم (٦٢٢٧)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة...، رقم (٨٤١).

ذريتك، فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوه: ورحمة الله».

ففي هذا الحديث عدة فوائد منها:

أولاً: أن هذه الخليقة البشرية كانت من العدم، وأنها لم تكن شيئًا مذكورًا من قبل؛ كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، فهذه البشرية لم تكن شيئًا مذكورًا من قبل، فخلقها الله وأوجدها لحكمة عظيمة، ولهذا لما قالت الملائكة لله ـ عزَّ وجلَّ ـ حين أخبرها أنه جاعل في الأرض خليفة قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، خلق الله هذه البشرية وجعل منهم الأنبياء والرسل والصديقين والشهداء والصالحين.

ثانيًا: أن الملائكة أجسام وليست أرواحًا؛ لأنهم جلوس، والجالس يعني أنه جسم، وقد رأى النبي ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح قد سدَّ الأفق، والله ـ سبحانه وتعالى ـ قال: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر: ١]، فالملائكة أجسام ولكن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ حجبهم عنا جعلهم عالمًا غيبيًا كما أن الجن أجسام ولكن الله تعالى حجبهم عنا فجعلهم عالمًا غيبيًا، وقد تظهر

الملائكة في صورة إنسان كما جاء جبريل إلى النبي ﷺ مرة بصورة «دحية الكلبي»، ومرة بصورة رجل غريب لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه الصحابة، وعليه ثياب بيض، وشعره أسود وجلس إلى النبي ﷺ وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأشراطها.

ثالثًا: أن السنة في السلام: «السلام عليكم» إذا كانوا جماعة، وإن كان واحدًا تقول: «السلام عليك»؛ لأن الواحد يخاطب بخطاب الواحد، والجماعة تخاطب بخطاب الجماعة.

رابعًا: أن السلام متلقن من الملائكة بأمر الله، حيث قال الله سبحانه وتعالى: «إنها تحيتك وتحية ذريتك». لكن في قولهم: «السلام عليك ورحمة الله» في الرد إشكال؟. وهو أن المعروف في الرد أن يقدم الخبر فيقال: عليك السلام.

لكن يقال: إما أنهم بهذا يعلمونه التحية الابتدائية، أوأن الشريعة وردت بخلاف ذلك ـ بتقديم الخبر ـ.

خامسًا: أن الأفضل في رد السلام أن يزيد الإنسان «ورحمة الله»؛ لأن الملائكة زادوا، والله ـ سبحانه وتعالى ـ قال: ﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾. فبدأ بالأحسن ﴿أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾. إذا لم تردوا الأحسن، والله الموفق.

* * *

٣/٨٤٧ ـ وعن أبي عمارة البَرَاءِ بن عازبٍ رضي الله عنهما قال: أمرنا رسول الله ﷺ بِسَبْعٍ: بِعِيَادَةِ المرِيض، وَاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وتشمِيت العَاطِسِ، وَنَصرِ الضَّعِيف، وَعَوْنِ المَظْلُومِ، وَإِفْشَاءِ السَّلامِ، وَإبرارِ المقْسِمِ» متفق عليه[1]. هذا لفظ إحدى روايات البخاري.

٤/٨٤٨ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ»[2] رواه مسلم.

٥/٨٤٩ ـ وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلَوا الأرْحَامَ، وَصَلُّوا والنَّاسُ نِيامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ» رواه الترمذيُّ[3] وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٦/٨٥٠ ـ وعن الطُّفَيْل بن أُبيِّ بن كَعْبٍ رضي الله عنه أنَّهُ كان يَأتِي عبد الله بن عُمَرَ، فَيَغْدُو مَعَهُ إلى السُّوقِ، قال: فإِذَا غَدَوْنَا إلى السُّوقِ، لَمْ يَمُرَّ عبدُ الله عَلى سَقَّاطٍ ولا صاحِبِ بَيْعَةٍ، وَلاَ مسْكِينٍ، وَلاَ

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب إفشاء السلام، رقم (٦٢٣٥)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال، رقم (٢٠٦٦).
(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، رقم (٥٤).
(٣) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب منه، رقم (٢٤٨٥).

أَحَدٍ إلاَّ سَلَّمَ عَلَيْهِ، قال الطُّفَيْلُ: فَجِئْتُ عبد الله بن عُمَرَ يَوْمًا، فاسْتَتْبَعَني إلى السُّوقِ، فَقُلْتُ لهُ: ما تَصْنَعُ بِالسّوقِ، وأَنْتَ لا تَقِفُ على البَيْعِ، وَلا تَسْأَلُ عَنِ السِّلَعِ، وَلا تَسُومُ بِهَا، وَلاَ تجْلِسُ في مَجَالِس السُّوقِ؟ وأَقُولُ: اجْلِسْ بِنا هاهُنا نَتَحَدَّثْ، فقال: يَا أَبَا بَطْنٍ ـ وَكَانَ الطُّفَيْلُ ذا بَطْنٍ ـ إِنَّمَا نَغْدو مِنْ أَجْلِ السَّلام، نسَلِّمُ على مَن لَقِيناهُ. رواه مالك في الموطأ[1] بإسنادٍ صحيحٍ.

الشرح

هذه الأحاديث ـ حديث البراء وحديث أبي هريرة وحديث عبدالله بن سلام رضي الله عنهم ـ في باب فضل السلام وإفشائه سبق الكلام عليها، فلا حاجة إلى إعادة الكلام. أما حديث الطفيل بن أبي بن كعب فإنه ذكر له قصة مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه استتبعه ـ يعني عبد الله بن عمر ـ يومًا إلى السوق فجعل عبد الله يسلم على كل أحد: على صاحب الدكان، وعلى كل من مرَّ عليه ممن عرف وممن لا يعرف. فجاءه ذات يوم، فقال له: اذهب بنا إلى السوق. فقال له: ما تصنع بالسوق؟ فأنت لا تشتري شيئًا، ولا تسوم شيئًا، اجلس بنا هنا نتحدث. فقال: إنما أذهب إلى السوق من أجل السلام على الناس؛ لأن الإنسان إذا سلَّم وأفشى السلام

(١) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩٦١).

وأظهره كان هذا سببًا لدخول الجنة كما في حديث أبي هريرة: «لا تدخلو الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»، ولأن الإنسان إذا سلَّم على أخيه فقال: السلام عليكم، أو السلام عليك إذا كان واحدًا، فإنه يكتب له بذلك عشر حسنات، فإذا سلم على عشرة أشخاص كتب له مائة حسنة، وهذا خيرٌ من البيع والشراء، فكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يدخل السوق من أجل كثرة المسلم عليهم؛ لأنه في بيته لا يأتيه أحد، وإذا أتاه أحد فهو أقل بكثير ممن في السوق، لكن من في السوق يمر عليهم، ويسلم عليهم، وفي هذا دليلٌ على أنه لا ينبغي للإنسان أن يسأم، يعني أن يمل من كثرة السلام، لو لاقاك مائة شخص فيما بينك وبين المسجد مثلاً، فسلم. إذا سلمت على مائة شخص تحصل على ألف حسنة، وهذه نعمة كبيرة.

وفي هذا أيضًا دليلٌ على حرص السلف الصالح على كسب الحسنات، وأنهم لا يفرطون فيها بخلاف وقتنا الحاضر: تجد الإنسان يفرط في حسنات كثيرة. وابن عمر رضي الله عنهما من أحرص الناس على المبادرة إلى فعل الخير لما حدثه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن من تبع الجنازة حتى يصلى عليها كتب له

قيراط، ومن شهدها حتى تدفن كتب له قيراطان، قيل: وما القيراطان يا رسول الله؟ قال: «**مثل الجبلين العظيمين: أصغرهما مثل أحد**»[1]. ولما حدث ابن عمر بهذا الحديث قال: والله لقد فرطنا في قراريط كثيرة ثم صار لا تحصل جنازة إلا تبعها رضي الله عنه، وهكذا السلف الصالح، إذا علموا ما في الأعمال من الخير والثواب بادروا إليها وحرصوا عليها، فكان ابن عمر لا يدع جنازة إلا خرج معها وتبعها وتندم وندم لما مضى قال: لقد فرطنا في قراريط كثيرة، فالذي ينبغي للمؤمن أن يكون حريصًا على فعل الخير كلما بان له خصلة خير فليبادر إليها. نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المتسابقين إلى الخيرات، إنه على كل شيء قدير.

أما قوله: «**يا أبا بطن**»: فإن الطفيل كان كبير البطن، وهذا من باب المداعبة، وليس قصده أن يُعيّره بأنه كبير البطن، لكن يداعبه، مثل قول الرسول ﷺ لأبي هريرة: «**يا أبا هر**».

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب فضل اتباع الجنائز، رقم (١٣٢٤)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها، رقم (٩٤٥).

١٣٢- باب كيفية السلام

يُسْتَحبُّ أَنْ يَقُولَ المُبْتَدِئ بِالسَّلامِ: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ» فَيأتي بضميرِ الجَمْعِ، وَإِنْ كانَ المُسلَّمُ عَلَيْهِ واحِدًا، وَيَقُولُ المُجيبُ: «وَعَلَيْكُم السَّلامُ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ» فَيَأْتي بواوِ العطفِ في قوله: وَعَلَيْكُم».

١/٨٥١ - عن عِمْرَانَ بن الحُصَيْنِ رضي الله عنهما قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ فقال: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثم جَلَسَ، فقال النبيُّ ﷺ: «عشْرُ» ثم جَاءَ آخَرُ، فقال: السَّلامُ عَلَيكُم ورَحْمَةُ الله، فَرَدَّ عليهِ فَجَلَسَ، فقال: «عِشْرُون» ثم جَاءَ آخَرُ، فقال: السَّلامُ عليكم وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فقال: «ثَلاثونَ» رواه أبوداود والترمذي[1] وقال: حديثٌ حسنٌ.

٢/٨٥٢ - وعن عائشة رضي الله عنها قالتْ: قالَ لي رسولُ الله ﷺ: «هذا جِبريلُ يقرَأُ عَلَيكِ السَّلامِ» قَالَتْ: قُلْتُ: «وَعَلَيْهِ السَّلامُ ورحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ» متفقٌ عليه[2]. وهكذا وقع في بعض روايات الصحيحين:

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب كيف السلام، رقم (٥١٩٥)، والترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما ذكر في فضل السلام، رقم (٢٦٨٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٢١٧)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها رقم (٢٤٤٧).

«وَبَرَكَاتُهُ» وفي بَعْضِها بحذْفِهَا وَزِيَادَةُ الثِّقَةِ مَقبُولَةٌ.

٣/٨٥٣ ـ وعن أنسٍ رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ إذا تكلمَ بِكَلِمَةٍ أعَادَها ثلاثًا حَتَّى تُفهَمَ عنه، وَإذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِم سَلَّم عَلَيهِم ثلاثًا. رواه البخاري[1]. وهذا مَحْمُولٌ على مَا إذا كان الجمعُ كَثيرًا.

الشرح

ذكر المؤلف النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه: «رياض الصالحين» باب كيفية السلام: يعني كيف يسلم؟ ماذا يقول إذا سلم، وماذا يقول إذا رد؟ وذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ أنه يستحب أن يقول: السلام عليكم ورحمة الله، وإن كان المسلم عليه واحدًا، ثم استدل بحديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس، فقال النبي ﷺ: «**عشر**» ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه فجلس، فقال: «**عشرون**»، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه فجلس، فقال: «**ثلاثون**». فقال: للأول «عشر» يعني حسنات، وللثاني «عشرون» وللثالث «ثلاثون»؛ لأن كل واحد منهم زاد.

وهذه مسألة اختلف فيها العلماء: هل إذا سلم على واحد

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثًا ليفهم عنه، رقم (٩٥).

يقول: السلام عليك أو عليكم؟ والصحيح أنه يقول: السلام عليكم. هكذا ثبت عن النبي ﷺ كما في حديث المسيء في صلاته أنه قال: السلام عليك. وأما ما استدل به المؤلف من حديث عمران فليس فيه دلالة، لأن الرجل دخل على النبي ﷺ ومعه جماعة فسلم على الجميع. فإذا كانوا جماعة قل: السلام عليكم، وإذا كان واحدًا قل: السلام عليك، وإن زدت: ورحمة الله. فهو خير، وإن زدت: وبركاته. فهو خير؛ لأن كل كلمة فيها عشر حسنات، وإن اقتصرت على: السلام عليكم، فهو كاف بهذه الكيفية.

ويقول الراد: وعليكم السلام، ثم إن كان المسلم لم يزد على قول: السلام عليك. كفى، وإن كان المسلم قد قال: السلام عليك ورحمة الله. فعلى الراد أن يقول: عليك السلام ورحمة الله؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء: ٨٦]، يعني: ردوا مثلها. وقال: يستحب أن يقول: «وعليكم» بزيادة الواو، وهذا حسن؛ لأنه إذا قال: «وعليكم» صار واضحًا أنه معطوف على الجملة التي سلم بها المسلِّم، وإن حذفها فلا بأس، لأن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يأت بالواو في رده السلام على الملائكة ﴿ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ ﴾ [الذاريات: ٢٥]، ولم يأت بالواو، فإن أتى بالواو فحسن، وإن تركها فلا بأس.

ثم إنه من السنة إذا نقل السلام من شخص إلى شخص آخر أن يقول: عليه السلام. وإن قال: عليك وعليه السلام، أو عليه وعليك السلام، فحسن؛ لأن هذا الذي نقل السلام محسن، فتكافئه بالدعاء له، فإذا قال شخص لآخر: سلِّم لي على فلان. ثم نقل الوصية وقال: فلان يسلم عليك، فإنه يقول: عليه وعليك السلام، أو يقول: عليه السلام، ويقتصر؛ لأن النبي ﷺ بلغ عائشة أن جبريل يقرأ عليها السلام، فقالت: عليه السلام، فدل ذلك على أنه إذا نقل السلام إليك أحد من شخص تقول: عليه السلام، ولكن هل يجب عليك أن تنقل الوصية إذا قال: سلِّم لي على فلان، أو لا يجب؟

فصل فيها العلماء فقالوا: إن التزمت له بذلك وجب عليك؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وأنت الآن تحملت هذا، أما إذا قال: سلِّم لي على فلان وسكت أو قلت له مثلاً: إن ذكرت أو ما أشبه ذلك، فهذا لا يلزم إلا إذا ذكرت، وقد التزمت له بأن تسلم عليه إذا ذكرت، لكن الأحسن ألا يكلف الإنسان أحدًا بهذا؛ لأنه ربما يشق عليه، ولكن يقول: سلم لي على من سأل عني؛ لأنه إذا قال: سلم لي على من سأل، وسأله كيف فلان؟ قال: فلان طيب ويسلم عليك، هذا طيب، أما أن يحمله فإن هذا لا ينبغي؛ لأنه قد يستحي منك فيقول: نعم أنقل

سلامك، ثم ينسى أو تطول المدة أو ما أشبه ذلك.

ثم ذكر حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا تكلم؛ تكلم ثلاثًا وإذا سلم؛ سلم ثلاثًا، لكنه يتكلم ثلاثًا إذا لم تفهم الكلمة عنه، أما إذا فهمت فلا يكرر، لكن لو لم تفهم لكون المخاطب ثقيل السمع، أو لكثرة الضجة حوله أو ما أشبه ذلك فليعد مرتين، فإن لم تكف فثلاث، يعني وبعد الثلاث لا يلزمه، كما أنه إذا استأذن للدخول في البيت ثلاث مرات ولم يؤذن له انصرف، وكذلك هنا إذا تكلم ثلاث مرات ولم يكلمه أو لم يفهم يتركه، كذلك إذا سلمت ولم يسمع المسلم عليه أعد مرة ثانية ومرة ثالثة، وهكذا إذا سلمت ورد عليك ردًّا لا يجزئ، كما لو قلت: السلام عليك. قال: أهلاً ومرحبًا. أعد السلام قل: السلام عليك. إذا قال: أهلاً ومرحبًا. أعد السلام قل: السلام عليك. «**ثلاث مرات**» فإن لم ينفع فاتركه، ولكن نبهه بأن قول القائل في الإجابة: أهلاً ومرحبًا لا يكفي، لابد أن يقول: عليك السلام، إذا قيل: السلام عليك. والله الموفق.

٤/٨٥٤ ـ وعن المِقْدَاد رضي الله عنه في حديثِهِ الطويل قال: كُنَّا نَرفَعُ للنَّبيِّ ﷺ نَصِيبَهُ مِنَ اللَّبنِ، فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيلِ، فَيُسَلِّمُ تسلِيمًا لا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ اليَقظَان، فَجَاءَ النَّبيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كما كان يُسَلِّمُ.

رواه مسلم[١].

٥/٨٥٥ ـ وعن أَسْمَاء بنت يزيد رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ، مَرَّ في المَسْجِدِ يَومًا، وعُصبَة مِنَ النِّسَاءِ قُعودٌ، فَألوى بِيَدِهِ بالتَّسْلِيمِ. رواه الترمذي[٢] وقال: حديثٌ حسنٌ. وهذا مَحْمُولٌ على أنه ﷺ، جَمَعَ بيْنَ اللَّفظ والإِشَارَة، ويُؤَيِّدُهُ أن في روايةِ أَبي داود[٣]: «فَسَلَّمَ عَلَيْنَا».

٦/٨٥٦ ـ وعن أبي جُرَي الهَجَيْمِيِّ رضي الله عنه قال: أتيتُ رسول الله ﷺ فَقُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلامُ يا رسول الله. فَقَالَ: «لا تَقُل عَلَيْكَ السَّلامُ، فإنَّ عَلَيْكَ السَّلامُ تَحِيَّةُ المَوْتى». رواه أبوداود، والترمذي[٤] وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الشرح

هذه الأحاديث التي ذكرها الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين من آداب السلام منها حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يدخل البيت في الليل فيسلم

---

(١) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، رقم (٢٠٥٥).

(٢) رواه الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في التسليم على النساء، رقم (٢٦٩٧).

(٣) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب في السلام على النساء، رقم (٥٢٠٤).

(٤) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب كراهية أن يقول: عليك السلام، رقم (٥٢٠٩)، والترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في كراهية أن يقول: عليك السلام مبتدئًا، رقم (٢٧٢٢).

سلامًا خفيفًا يسمعه اليقظان ولا يوقظ النائم، وهكذا ينبغي للإنسان إذا دخل بيتًا أو حجرة أو ما أشبه ذلك وفيها نيام وأيقاظ أن يسلم سلامًا يسمعه الأيقاظ ولا يوقظ النيام؛ لأن النائم لا يحب أن يوقظه أحد، لا سيما أن بعض الناس إذا أوقظ صار لا يأتيه النوم بعد ذلك ويبقى أرقًا إلى الفجر، وهذا فيه أذًى وفيه ضرر على الآخرين. فإذا دخلت مكانًا فيه أيقاظ ونيام فأعط الأيقاظ حقهم في السلام عليهم، وامنع الأذى عن النيام بحيث يكون السلام خفيفًا يسمعه من كان يقظان ولا يسمعه النائم.

ثم ذكر المؤلف حديث أسماء في مرور النبي ﷺ على نساء في المسجد، فألوى بيده إليهن بالتسليم وقال ـ رحمه الله ـ: إن هذا محمول على أنه جمع بين التسليم باليد ـ بالإشارة ـ وكذلك باللسان؛ لأن التسليم باليد فقط منهي عنه، نهى عنه النبي ﷺ وأما الجمع بينهما فلا بأس خصوصًا إذا كان الإنسان بعيدًا يحتاج إلى أن ينظر لليد التي يشير بها المسلم، أو كان أصم لا يسمع أو ما أشبه ذلك، فإنه يجمع بين السلام وبين الإشارة، وأما ما يفعله بعض الناس إذا مر وهو يركب سيارته فإنه يضرب البوق، فإن هذا لا يكفي في السلام، وليس من السنة اللهم إلا أن بعض الناس يقول: أنا لا أريد به السلام، لكن أريد أن ينتبه ثم أسلم عليه، هذا أرجو ألا

يكون به بأس، وأما أن يجعله بدلاً عن السلام، فإن هذا ـ لا شك ـ خلاف السنة، فالسنة أن يسلم الإنسان بلسانه ـ وإذا كان الصوت لا يسمع ـ فإنه يسلم ويشير بيد، حتى ينتبه البعيد أو الأصم.

وفي حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن النبي ﷺ مر بالمسجد وفيه عصبة من النساء، فألوى إليهن بالتسليم ـ أي سلم عليهن وأشار بيده ـ قال النووي: وهو محمول على أنه جمع بين السلام والإشارة. وذلك لأن السلام بالإشارة فقط منهي عنه، السلام لابد أن يكون بالقول «السلام عليك» إذا كان واحدًا، و«السلام عليكم» إذا كانوا جماعة لكن إذا كان الإنسان بعيدًا أو أصم أو حوله ضجة أو ما أشبه ذلك فإنه يجمع بين الإشارة وبين القول «السلام عليكم» مع الإشارة.

وفي الحديث سلام النبي ﷺ على النساء، وذلك لأن المحذور منتف غاية الانتفاء، وإلا فإن الرجل الأجنبي الذي ليس محرمًا للمرأة لا يسلم عليها، لما في ذلك من الفتنة، ولا سيما الشاب مع الشابة، فإنه لا يسلم الرجل على المرأة، ولا المرأة على الرجل، لكن إذا كان الرجل معروفًا بالصلاح، ومرَّ على نساء مجتمعات كاللاتي يجتمعن في المسجد أو في درس أو ما أشبه ذلك فلا بأس أن يسلم؛ لأن المحذور منتفٍ، والمسجد كل يدخل فيه ويخرج،

لكن أن يمر الإنسان بالمرأة الشابة في الشارع، أو السوق ويسلم عليها هذا فتنة، فلا يسلم على المرأة، كذلك لو دخل بيته ـ وفيه نساء قد زرن أهله ـ فلا بأس أن يسلم؛ لأن المحذور منتفٍ، وأما ما يخشى منه الفتنة فإن لدينا قاعدة شرعية وهي: «**درء المفاسد أولى من جلب المصالح**».

كذلك أيضًا في صيغة السلام، وتقدم أن صيغة السلام أن تقول: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، وإذا كانوا جماعة تقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وأما «عليك السلام»، فإن النبي ﷺ نهى عنها، وقال: «**إن هذه تحية الموتى**» يعني أنهم كانوا في الجاهلية يسلمون على أمواتهم بمثل هذا، مثل قول الشاعر:

عليك سلام الله قيس بن عامر

فهم إذا خاطبوا الأموات ـ ولو كانوا غائبين ـ لكن يستحضرونهم كأنهم بين أيديهم، يسلمون عليهم بهذا: عليك سلام الله، فلهذا نهى النبي ﷺ عن ذلك؛ لأنه تحية الموتى، ومشابهة لأهل الجاهلية في جاهليتهم، فبدلاً من أن تقول: عليك السلام. قل: السلام عليكم. هذا هو السنة، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

١٣٣ـ باب آداب السلام

١/٨٥٧ ـ وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ صُدَيِّ بن عَجْلاَنَ البَاهِلِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوْلى النَّاسِ باللهِ مَنْ بَدَأَهم بالسَّلامِ» رواه أبوداود بإسنادٍ جيدٍ[١].

ورواه الترمذي عن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه: قِيلَ: يَا رسول الله، الرَّجُلانِ يَلْتَقِيَانِ، أَيُّهُمَا يَبْدأُ بالسَّلاَمِ؟ قال: «أَوْلاهُمَا بِالله تعالى». قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ[٢].

٢/٨٥٨ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلى المَاشي، والمَاشي عَلى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ» متفقٌ عليه[٣]. وفي روايةِ البخاري: «والصَّغِيرُ عَلى الكبير».

الشرح

هذه أحاديث في شيء من آداب السلام ذكرها النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في رياض الصالحين في آداب السلام، سبق الكلام على

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب فضل من بدأ السلام، رقم (٥١٩٧).

(٢) رواه الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في فضل الذي يبدأ بالسلام، رقم (٢٦٩٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب تسليم الراكب على الماشي، رقم (٦٢٣٢)، ومسلم، كتاب السلام، باب يسلم الراكب على الماشي والقليل على الكثير، رقم (٢١٦٠).

بعضها. ومنها: حديث أسماء الذي تقدم شرحه، ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه من الذي يسلم؟. فيقول:

أولاً: خير الناس من يبدأ الناس بالسلام، وقد كان النبي ﷺ - وهو أشرف الخلق - يبدأ من لقيه بالسلام، فاحرص على أن تكون أنت الذي تسلم قبل صاحبك ولو كان أصغر منك؛ لأن خير الناس من يبدؤهم بالسلام، وأولى الناس بالله من يبدؤهم بالسلام، فهل تحب أن تكون أولى الناس عند الله؟! كلنا نحب ذلك، إذن فابدأ الناس بالسلام.

ثم ذكر النبي ﷺ أن الراكب يسلم على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير، وذلك لأن الراكب يكون متعليًا فيسلم على الماشي، والماشي متعليًا على القاعد فيسلم عليه، والقليل يسلم على الكثير؛ لأن الكثير لهم حق على القلة، والصغير يسلم على الكبير؛ لأن الكبير له حق على الصغير، ولكن إذا قدر أن القليلين في غفلة ولم يسلموا فليسلم الكثيرون، ولو قدر أن الصغير في غفلة فليسلم الكبير ولا تترك السنة، يعني هذا الذي ذكره النبي ﷺ ليس معناه أنه لو سلم الكبير على الصغير كان حرامًا، ولكن المعنى: الأولى أن الصغير يسلم

على الكبير، فإذا لم يسلم فليسلم الكبير، حتى إذا بادرت أنت بالسلام، وبدأت؛ فهو أفضل، وأولى الناس بالله من يبدؤهم بالسلام، والله الموفق.

* * *

١٣٤ ـ باب استحباب إعادة السلام على من تكرر لقاؤه على قرب بأن دخل ثم خرج ثم دخل في الحال، أو حال بينهما شجرة ونحوها

١/٨٥٩ ـ عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه في حَدِيثِ المسيء صَلاتَهُ أنَّهُ جاءَ فصَلَّى، ثُمَّ جاءَ إلى النبيِّ ﷺ: فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ، فقال: «ارْجع فَصَلِّ فإنَّكَ لم تُصَلِّ» فَرَجَعَ فَصَلَّى، ثُمَّ جاءَ فَسَلَّمَ عَلى النَّبِيِّ ﷺ حتَّى فَعَلَ ذلكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. متفقٌ عليه[١].

٢/٨٦٠ ـ وعنه رضي الله عنه عَنْ رسول الله ﷺ قال: «إذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإنْ حالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ، أوْ جِدَارٌ، أوْ حَجَرٌ، ثُمَّ لَقِيَهُ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ» رواه أبوداود[٢].

* * *

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم، رقم (٧٥٧)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم (٣٩٧).

(٢) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب في الرجل يفارق الرجل ثم يلقاه أيسلم عليه، رقم (٥٢٠٠).

١٣٥ـ باب استحباب السلام إذا دخل بيته

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [النور: ٦١].

١/١٦١ ـ وعن أنس رضي الله عنه قالَ: قالَ لي رسولُ الله ﷺ: «يا بُنَيَّ، إذا دَخَلْتَ عَلَى أهْلِكَ، فَسَلِّمْ، يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ، وعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ» رواه الترمذي[١] وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الشرح

هذان البابان من آداب السلام ذكرهما الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين أن الإنسان إذا سلَّم على أخيه ثم خرج ورجع عن قرب أو عن بعد ـ من باب أولى ـ فإنه يعيد السلام. مثلاً إنسان عنده ضيوف في البيت فدخل إلى البيت يأتي لهم بماء أو طعام أو نحو ذلك فإنه إذا رجع يسلم، وهذه من نعمة الله أنه يسن السلام وتكراره كلما غاب الإنسان عن أخيه، سواء غيبة طويلة أم قصيرة.

فإن الله شرع لنا أن يسلِّم بعضنا على بعض؛ لأن السلام عبادة

(١) رواه الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في التسليم إذا دخل بيته، رقم (٢٦٩٨).

وأجر كلما ازددنا منه ازددنا عبادة لله. وازداد أجرنا وثوابنا عند الله، ولولا أن الله شرع هذا لكان تكرار السلام على هذا الوجه من البدعة، لكن من نعمة الله أنك إذا غبت عن أخيك ورجعت ـ ولو عن قرب ـ فإنك تسلم عليه، حال بينكما شجرة كبيرة بحيث تغيب عنه بهذه الشجرة، أو حجر كبير أو صخرة بحيث تغيب عنه بهذه الصخرة فإذا لقيته فسلِّم عليه. أو حال بينكما جدار، أو سيارة؛ المهم أنه متى غبت عنه ثم صادفته بعد الغيبة فسلّم عليه.

ثم استدل المؤلف ـ رحمه الله ـ بحديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة الرجل الذي دخل المسجد فصلى صلاة لا يطمئن فيها ينقرها نقرًا ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام، وقال: «ارجع فصل، فإنك لم تصلِّ»، فرجع الرجل وصلى لكن كصلاته الأولى، بدون طمأنينة، ثم رجع فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام وقال: «ارجع فصل، فإنك لم تصلِّ» ثلاث مرات، والرجل يصلي صلاة لا يعرف غيرها؛ لأنه جاهل، ثم قال: والذي بعثك بالحق لا أحسن غير هذا فعلمني. وهذا من حكمة الرسول ﷺ جعله يتردد، يصلي هذه الصلاة التي لا تجزئ من أجل أن يشتاق إلى العلم، فيرد العلم على قلبه ـ وهو منفتح له محتاج إليه، ومعروف أن الشيء إذا جاء على الحاجة يكون أقبل للنفس، فلو أعطيت الفقير

عشرة ريالات، وهو محتاج، فرح بها فرحًا كثيرًا، وكان لها منزلة، لكن لو أعطيتها غنيًّا لم تهمه.

فالحاصل أن الرسول ﷺ رد هذا الرجل من أجل أن يتشوق للعلم وينفتح قلبه له فقال ﷺ: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة، فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن - ولكن الفاتحة لابد منها كما تدل عليها نصوص أخرى - ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تطمئن قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا - هذه ركعة تامة - ثم افعل ذلك في صلاتك كلها» علّمه الرسول ﷺ، فتعلّم ومشى.

فاستدل المؤلف بهذا الحديث على أن الإنسان إذا رجع إلى أخيه ولو من قرب فليسلم عليه. مثلاً أنت في المسجد تذاكر ثم انصرفت تأتي بكتابك تجدد الوضوء، أو ما أشبه ذلك، ثم رجعت فسلم، وهذا خير، فكل سلام بعشر حسنات.

ثم ذكر المؤلف رحمه الله أنه من السنة إذا دخل الإنسان بيته أن يسلم، واستدل بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾[النور: ٦١].

إذا دخلت بيتك فسلم، لكن أول ما تدخل ابدأ بالسواك قبل كل شيء، ثم سلِّم على أهلك، وقد أوصى النبي ﷺ أنس بن مالك رضي الله عنه وهو خادمه قال: «**يا بني إذا دخلت على أهلك فسلِّم تكن بركة عليك وعلى أهلك**» ولهذا قال الله تعالى: ﴿مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾. فإذا دخلت البيت فسلِّم على من فيه سواء أهلك أو زملائك أو ما أشبه ذلك، إذا دخلت فسلِّم فهذا من السنة. والله الموفق.

* * *

١٣٦ـ باب السلام على الصبيان

١/٨٦٢ ـ عن أنس رضي الله عنه أَنَّهُ مَرَّ على صِبْيانٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وقال: كانَ رسولُ الله ﷺ يَفْعَلُهُ. متفقٌ عليه(١).

* * *

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم على الصبيان، رقم (٦٢٤٧)، ومسلم، كتاب السلام، باب استحباب السلام على الصبيان، رقم (٢١٦٨).

١٣٧ ـ باب سلام الرجل على زوجته والمرأة من محارمه وعلى أجنبية وأجنبيات لا يخاف الفتنة بهن وسلامهن بهذا الشرط

١ / ٨٦٣ ـ عن سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قالَ: كانَتْ فِينَا امْرَأةٌ ـ وفي روايةٍ: كَانَتْ لَنَا عَجُوزٌ ـ تَأخُذُ مِنْ أصُولِ السِّلْقِ فَتطْرَحُهُ في القِدْرِ، وتُكَرْكِرُ حَبَّاتٍ مِنْ شَعِيرٍ، فإذَا صَلَّيْنَا الجُمُعَة، وَانْصَرَفْنَا، نُسَلِّمُ عَلَيْهَا، فتُقَدِّمُهُ إلَيْنَا. رواه البخاري.

قوله: «تُكَرْكِرُ» أيْ: تطحَنُ.

٢ / ٨٦٥ ـ وَعَنْ أُمِّ هَانئَ فَاختَةَ بنتِ أَبي طالب رضي الله عنها قالَتْ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يومَ الفَتْحِ وَهُوَ يَغْتَسِلُ، وَفَاطِمَةُ تَسْتُرُهُ بِثَوبٍ، فَسَلَّمْتُ، وذكَرتِ الحديث. متفق عليه[1].

الشرح

قال المؤلف الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين في آداب السلام: باب السلام على الصبيان.

الصبيان يعني الصغار من سن التمييز إلى الثانية عشرة ونحوها،

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفاً به، رقم (٣٥٧)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، رقم (٣٣٦).

وقد جرت عادة الكثير من الناس ألا يسلم على الصبيان استخفافًا بهم، ولأنهم يعتبون عليه لو ترك السلام ولكن هذا خلاف هدي النبي ﷺ، هدي الرسول ﷺ أن يسلم على الصغير والكبير، فهذا أنس بن مالك رضي الله عنه مر على صبيان فَسلّم عليهم، وقال: «إن النبيّ ﷺ كان يفعله»، أي كان يسلم على الصبيان.

فائدة السلام على الصبيان:

أولاً: اتباع السنة؛ سنة النبي ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وثانيًا: التواضع؛ حتى لا يضن الإنسان بنفسه، ويشمخ بأنفه، ويعلو برأسه، يتواضع ويسلم على الصبيان، وقد قال النبي ﷺ: **«ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه»**(١).

ثالثًا: تعويد الصبيان على محاسن الأخلاق؛ لأن الصبيان إذا رأوا الرجل يمر بهم ويسلم عليهم تعودوا ذلك، واعتادوا هذه السنة المباركة الطيبة.

رابعًا: أن هذا يجلب المودة للصبي، يعني أن الصبي يحب

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، رقم (٢٥٨٨).

الذي يسلم عليه ويفرح بذلك، وربما لا ينساها أبدًا؛ لأن الصبي لا ينسى ما مرَّ به.

هذه من فوائد السلام على الصبيان، فينبغي لنا إذا مررنا على صبيان يلعبون في السوق أو جالسين يبيعون شيئًا أو ما أشبه ذلك أن نسلم عليهم لهذه الفوائد التي ذكرناها.

أما السلام على النساء: فالسلام على المحارم من النساء والزوجات سنة، والمحارم يعني التي لا يحل لك أن تتزوج بها، فتسلم عليها، ولا حرج في ذلك، تسلم على زوجتك، على أختك، على عمتك، على بنت أخيك، على بنت أختك، ولا حرج في هذا، أما الأجانب فلا تسلم عليهن، اللهم إلا العجائز الكبيرات إذا كنت آمنًا على نفسك من الفتنة، وأما إذا خفت الفتنة فلا تسلم، ولهذا جرت عادة الناس اليوم أن الإنسان لا يسلم على المرأة إذا لاقاها في السوق، وهذا هو الصواب، ولكن لو دخلت بيتك ووجدت فيه نساء من معارفك وتسلم فلا بأس ولا حرج بشرط أمن الفتنة، وكذلك المرأة تسلم على الرجل بشرط أمن الفتنة.

وذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديث المرأة التي كانت تأخذ من «**أصول السلق**» والسلق نوع من الشجر، وأصوله طيبة تصلح إدامًا، فتأخذ من هذه الأصول وتلقيها في الماء، وتغليها على النار،

وتكركر عليها حبات من شعير، فإذا خرج الصحابة: من شاء منهم جاء إليها يسلم عليها، ويأكل من هذا السلق ويفرحون به؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا أغنياء إلا بعد أن فتح الله عليهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ﴾ [الفتح: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ ﴾ [الفتح: ٢٠]، فكثرت الأموال بعد الفتوح، أما قبل ذلك فإن غالبية الصحابة فقراء. والله الموفق.

فائدة: فإن قال قائل: ما حكم مصافحة النساء؟ فالجواب: المصافحة للنساء المحارم لا بأس بها، أما المصافحة لغير المحارم فلا تجوز، سواء مباشرة أو من وراء حائل، وسواء كانت امرأة كبيرة أو صغيرة.

* * *

١٣٨ـ باب تحريم ابتدائنا الكافر بالسلام وكيفية الرد عليهم واستحباب السلام على أهل مجلس فيهم مسلمون وكفار

١ / ٨٦٦ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَبدَءوا اليَهُودَ وَلاَ النَّصَارى بِالسَّلامِ، فإذا لقِيتُم أَحَدَهُم في طَرِيق فَاضطَرُّوهُ إلى أَضْيَقِهِ» رواه مسلم[١].

٢ / ٨٦٧ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيكُم أَهلُ الكتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُم» متفقٌ عليه[٢].

٣ / ٨٦٨ ـ وعن أُسَامَةَ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّ عَلى مَجلسٍ فيهِ أَخلاطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ والمُشرِكينَ ـ عَبَدَةِ الأوثَانِ واليَهُود ـ فَسَلَّم عَلَيْهِم النبيُّ ﷺ متفقٌ عليه[٣].

---

(١) رواه مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب، رقم (٢١٦٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب كيف يرد على أهل الذمة السلام، رقم (٦٢٥٨)، ومسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف...، رقم (٢١٦٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين...، رقم (٦٢٥٤)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النبي ﷺ إلى...، رقم (١٧٩٨).

الشرح

هذا الباب عقده المؤلف رحمه الله في كتابه رياض الصالحين في حكم السلام على الكفار الخلص، وعلى الكفار المختلطين بالمسلمين. وقد سبق الكلام على السلام بل في السلام على المسلمين الخلص، وأنه سنة مؤكدة.

أما السلام على الكفار فإنه لا يحل لنا أن نبدأهم بالسلام ـ يعني لا يجوز للإنسان إذا مرَّ بالكافر أو دخل على الكافر أن يقول: السلام عليك؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وذلك لأن تسليمنا عليهم فيه نوع من الذل لهم، ونوع من الإكرام لهم؛ لأن التحية والسلام إكرام، والكافر ليس أهلاً للإكرام، بل الكافر حقه منا أن نغيظه، وأن نذله، وأن نهينه؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه العظيم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ﴾ [الفتح: ٢٩]، قال: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾. يعني أقوياء عليهم، أعزة عليهم. ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾. هذا الشاهد، وقال ـ تعالى ـ في سورة التوبة: ﴿وَلَا

يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ﴾ [التوبة: ١٢]، وابتداؤنا إياهم بالسلام إكرام لهم وإعزاز لهم، والمؤمن ينبغي أن يكون عزيزًا على الكافرين، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، فهم لهم العزة على الكافرين يعني يرى المسلم أنه أعز من الكافر وأن له العزة عليه، ولهذا لما كثرت العمالة النصرانية بيننا اليوم ذهبت الغيرة من القلوب، وكأن النصراني أو اليهودي أو البوذي أو الوثني كأنه لا يخالفنا إلا كما يخالف الحنبلي للمالكي، والشافعي، وما أشبه ذلك، عند بعض الناس يظنون أن اختلافنا مع الكفار كاختلاف المذاهب الأربعة في الإسلام، نسأل الله العافية.

وهذا لا شك أنه من موت القلوب، فلا يحل للإنسان أبدًا أن يعز الكافر، والمشروع أن نعمل كل ما فيه غيظ لهم، ولكن يجب علينا أن نفي لهم بالعهد الذي بيننا وبينهم - إذا كان بيننا وبينهم عهد - فمثلاً: عمال ولو كانوا نصارى، أولاً: نقول لا تأتي بعمال نصارى في الجزيرة العربية؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب**»[1] وأمر وقال: «**أخرجوا اليهود**

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، رقم (١٧٦٧).

والنصارى من جزيرة العرب»[١] وقال وهو في مرض موته: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»[٢] فلا تأت بكافر وأنت يمكنك أن تأتي بمسلم، وأما ما يعتقده من أمات الله قلبه ـ والعياذ بالله ـ أو ربما نقول: أزاغ الله قلبه، يقول: أنا آتى بعمال كفار؛ لأنهم لا يصلون، إذا صلوا نقص العمل، وحتى لا يصوموا فلا ينقص العمل، وحتى لا يذهبوا لعمرة أو حج فلا ينقص العمل، فهذا ـ والعياذ بالله ـ ممن اختار الدنيا على الآخرة، نسأل الله العافية.

فالحاصل أنه لا يجوز أن نبدأ أي كافر بالسلام لا يهودي ولا نصراني ولا بوذي ولا وثني، فأي إنسان على غير الإسلام لا يجوز أن نبدأه بالسلام.

قال: «**وإذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيقه**» يعني: لا توسع لهم المجال، لو كانوا جماعة مسلمين، وجماعة كفار تلاقوا في الطريق لا تفسح المجال لهم، ولو تفرقوا في الطريق؛ لأنك إذا أفسحت الطريق لهم يعد هذا إكرامًا أو ما أشبه ذلك هذا

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (١/ ١٩٥).
(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب هل يستشفع إلى أهل الذمة...، رقم (٣٠٥٣).

إكرام لا تفسح لهم هذا «إذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه».

لماذا نعاملهم هذه المعاملة؟ لأنهم أعداء الله ـ قبل كل شيء ـ وأعداء لنا، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الممتحنة: ١]، هم أعداء الله أولاً قبل كل شيء ـ وثانيًا أعداء لنا، وأفعالهم بالمسلمين سابقًا ولاحقًا وإلى اليوم تدل على شدة عداوتهم للمسلمين، فلا يجوز أن نسلم عليهم، ولكن إذا سلموا ماذا نقول؟ قال النبي ﷺ: «إذا سلموا عليكم فقولوا: وعليكم» فقط لا تزد على هذا، قل وعليكم، لماذا؟ لأنهم في عهد الرسول ﷺ يأتون يسلمون على المسلمين لكن سلام خبيث يقولون: السام عليكم، السام يعني الموت ومن يسمعهم «يدغمون الكلمة» يظن أنهم يقولون: السلام عليكم. وهم يقولون السام عليكم ـ يعني الموت ـ فانظر إلى العداوة، حتى التحية يدخلون فيها الشيء الضار السام، لذا قال النبي ﷺ: «قولوا: وعليكم ـ فقط ـ فإن كانوا قالوا: «السلام علينا» فعليهم السلام، إنما نقول لهم ما قالوا لنا، فإن كانوا قد قالوا السام، فعليهم، وإن كانوا قد قالوا: السلام، فعليهم»، وهذا من العدل؛ لأن الله قال: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾[النساء:٨٦]،

هذا عدل، ولهذا قال بعض العلماء، إذا قال الكافر: السلام عليكم ـ باللام الواضحة ـ فقل: عليك السلام؛ لماذا؟ لأنه زال الأمر الذي بنى عليه الرسول ﷺ قوله: «قولوا: وعليكم» كما في حديث ابن عمر في البخاري إنهم يقولون: «السام عليكم فإذا سلموا فقولوا: وعليكم». وهذه علة واضحة أن السبب أننا نقول: وعليكم، لأنهم يقولون: السام عليكم، أما إذا قالوا السلام صراحة، فنقول: وعليكم السلام؛ لأن أقوم الناس بالعدل هم المسلمون ـ والحمد لله ـ فإذا قالوا: السلام عليكم. نقول: وعليكم السلام. إذا قالوا: أهلاً وسهلاً. نقول: أهلاً وسهلاً: وإذا قالوا: مرحبًا. نقول: مرحبًا؛ فنعطيهم مثل ما يعطوننا.

لكن قد يشكل على بعض الناس الآن أننا ابتلينا بقوم من الكفار يكونون رؤساء في بعض الشركات فيدخل المسلم على مكتب رئيس الشركة وهو يهودي أو نصراني، فماذا يقول؟ نقول: يسلم ويقول: السلام فقط. وينوي بذلك أنه السلام عليه هو أي على المسلم، لأنك إذا حذفت المتعلق فإنه لا يدرى لمن هذا السلام؟ وهذا إذا خفت من شره، فإنه قد يقول: كيف يدخل عليّ ولا يسلم؟! أما إذا لم تخف من شره وأنه رجل لا يبالي سلمت أم لم تسلم، فادخل لقضاء مصلحتك منه فإذا دخلت معك معاملة قل خذ هذه المعاملة

كيف أعمل مثلاً، لأن الرسول ﷺ قال: «**لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام**»، فلا تبدأ بالسلام لكن إذا خفت من شره فقل السلام فقط.

واختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ هل يجوز أن يبدأهم بغير السلام مثل أن يقول: مرحبًا، أهلاً، أو سهلاً... فمنهم من قال: لا بأس به تأليفًا، لا سيما إن خاف منه أو من شره. ومنهم من قال: لا؛ لأن هذا فيه تعظيم له، وعلى الإنسان في هذه الحال يعني في أهلاً وسهلاً ومرحبًا.. وما أشبه ذلك أن ينظر ما تقتضيه الحاجة أو المصلحة.

ثم ذكر المؤلف حديث إذا مرَّ الإنسان بجمع فيه مسلمون وكفار، هل يترك السلام، لأن فيهم كفارًا أو يسلم لأن فيه مسلمين؟ اجتمع الآن سببان: مبيح وحاظر. ما هو المبيح: وهم المسلمون، والحاظر: المانع ـ وهم الكفار، لكن هنا يمكن تشذير الحكم وإلا فإن القاعدة الشرعية أنه إذا اجتمع مبيح وحاظر وتعذر انفكاك أحدهما عن الآخر فإنه يغلب جانب الحظر أي المنع لكن هنا يمكن من الانفكاك، تسلم وتنوى على المسلمين؛ يعني لو مررت بجماعة فيهم كفار ومسلمون، تقول السلام عليكم وتنوى بقلبك يعني على المسلمين؛ لأن النبي ﷺ مر بمجلس فيه أخلاط من المشركين واليهود، وفيهم مسلمون فسلم عليهم.

ومثل قول: أهلاً وسهلاً كيف حالك فيها الخلاف، ولكن قل: السلام فقط، إذا خفت من شره، وانوِ بذلك أنه عليك أنت.

وختم المؤلف ـ رحمه الله ـ كتاب السلام وآدابه ـ بحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الرجل إذا جاء إلى المجلس ثم قام منه، ومن المعلوم أن الإنسان إذا دخل على قوم فإنه يسلم عليهم ـ كما سبق ـ والسلام سنة مؤكدة، ورده فرض عين على من سلم عليه، وإذا كانوا جماعة فهو فرض كفاية إذا قام من يكفي سقط عن الباقين، لكن إذا كانوا جماعة وكان من المعلوم أن المسلم يريد بالقصد الأول واحدًا منهم وجب على هذا الواحد أن يرد، مثلاً لو كانوا طلبة ومعهم معلمهم، والذي دخل وسلم يريد بالقصد الأول نفس المعلم، فإنه يجب على المعلم أن يرد ولا يكفي رد الجماعة ـ كالتلاميذ مثلاً ـ وكذلك لو كان أميرًا مع رجاله وشرطته، فدخل إنسان وسلم، فإنه من المعلوم أن المقصود الأول هو الأمير، فيجب عليه أن يرد، أما إذا كان جماعة متساوين ولم يعلم أن أحدًا منهم هو المقصود بالقصد الأول، فإنه إذا رد واحدٌ منهم السلامَ كفى؛ لأن رد السلام فرض كفاية.

* * *

١٣٩ـ باب استحباب السلام إذا قام من المجلس وفارق جلساءه أو جليسه

١/٨٦٩ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا انتَهى أَحَدُكُم إلى المَجْلِسِ فَلْيُسَلِّم، فَإذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتِ الأولى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ» رواه أبوداود، والترمذي[1] وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

هذا الحديث الذي ذكره المؤلف في أن الرجل إذا دخل على المجلس فإنه يسلم، فإذا أراد أن ينصرف وقام وفارق المجلس فإنه يسلم؛ لأن النبي ﷺ أمر بذلك، وقال: «ليست الأولى بأحق من الثانية». يعني أنك إذا دخلت تسلم كذلك فإذا فارقت فسلم، ولهذا إذا دخل الإنسان المسجد سلم على النبي ﷺ، وإذا خرج سلم عليه أيضًا، وإذا دخل مكة لعمرة أو حج بدأ بالطواف وإذا فارق مكة وخرج ختم بالطواف؛ لأن الطواف تحية مكة لمن دخل بحج أو عمرة، وكذلك وداع مكة لمن أتى بحج أو عمرة ثم سافر، وهذا من

(١) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب في السلام إذا قام من المجلس، رقم (٥٢٠٨)، والترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في التسليم عند القيام وعند القعود، رقم (٢٧٠٦).

كمال الشريعة أنها جعلت المبتدئ والمنتهىٰ على حد سواء في مثل هذه الأمور، والشريعة كما نعلم جميعًا من لدن حكيم خبير كما قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١]، فتجدها كلها متناسقة متصاحبة ليس فيها تناقض ولا تفضيل حتى إن الرسول عليه الصلاة والسلام نهى أن يمشي الرجل بنعل واحد يعني لا تمش بنعل واحدة ولو لإصلاح الأخرى، لماذا؟ لأنك إذا خصصت إحدى القدمين بالنعل صار في ذلك جور وعدم عدل، فأنت ترى الآن أن الشريعة الإسلامية جاءت بالعدل في كل شيء ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]، والله الموفق.

* * *

١٤٠- باب الاستئذان وآدابه

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ﴾ [النور: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ ﴾ [النور: ٥٩].

١/ ٨٧٠ - وعن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الاسْتِئْذَانُ ثَلاثٌ، فَإِن أُذِنَ لك وَإِلا فَارْجِعْ»(١) متفقٌ عليه.

٢/ ٨٧١ - وعن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الاستئذَانُ مِنْ أَجْلِ البَصر» متفقٌ عليه(٢).

٣/ ٨٧٢ - وعن رِبْعِيِّ بن حِرَاشٍ رضي الله عنه قال: حدَّثَنَا رَجُلٌ من بَنِي عامِرٍ أنه اسْتَأْذَنَ على النبي ﷺ وَهُوَ في بيتٍ، فقال: أَأَلِج؟ فقال رسولُ الله ﷺ لخَادِمِهِ: «اخرج إِلَى هذا فَعَلِّمهُ الاستئذَانَ، فَقُل لَهُ: قُلْ: السَّلامُ عَلَيكُم، أَأَدْخُلُ؟» فَسَمِعَهُ الرَّجلَ فقال: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدخُلُ؟

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثًا، رقم (٦٢٤٥)، ومسلم، كتاب الآداب، باب الاستئذان، رقم (٢١٥٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر، رقم (٦٢٤١)، ومسلم، كتاب الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره، رقم (٢١٥٦).

فَأَذِنَ له النَّبيُّ ﷺ، فدخلَ. رواه أبوداود[١] بإسناد صحيحٍ.

٤/٨٧٣ ـ وعن كِلْدَةَ بنِ الحَنبل رضي الله عنه قال: أَتَيتُ النَّبيَّ ﷺ، فَدَخَلتُ عَليهِ ولم أُسَلِّم، فقال النبي ﷺ: «ارْجع فقل السَّلامُ عَلَيكم أَأَدخُلُ؟» رواه أبوداود والترمذي[٢] وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

قال المؤلف الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين باب الاستئذان وآدابه، والاستئذان: يعني طلب الإذن من صاحب البيت أن يأذن لك في الدخول فإن أذن لك فادخل، وإن لم يأذن لك فلا تدخل حتى لو قال لك بصراحة: ارجع، فارجع كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾ [النور: ٢٨]، وأنت يا صاحب البيت لا تستحي أن تقول: ارجع، وأنت أيها المستأذن لا تغضب عليه إذا قال لك ارجع؛ لأن الإنسان قد يكون في حاجة، وقد يكون غير مستعد لاستقبال الناس، فلا يمكن أن تلجئه وتحرجه، وإذا رجعت بعد أن قال لك: ارجع، فإن الله يقول ذلك أزكى ﴿فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾ ارجعوا هو أزكى لكم، أي أزكى لقلوبكم وأطهر.

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب كيف الاستئذان، رقم (٥١٧٧).

(٢) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب كيف الاستئذان، رقم (٥١٧٧)، والترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في التسليم قبل الاستئذان، رقم (٢٧١٠).

وذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ آيتين من كتاب الله.

الآية الأولى: سبق الكلام عليها ـ وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ ﴾ [النور: ٢٧]. وقلنا: إن معنى الاستئناس يعني أن تستأذنوا، أو أن تعلموا علم اليقين أن صاحبكم مستعد للدخول أي لدخولكم، ومن ذلك: إذا واعدك الإنسان فقال لك مثلاً: ائتني بعد صلاة الظهر، فإذا وجدت الباب مفتوحًا فهو إذن. فأنت إذا أتيت لا حاجة لأن تستأذن؛ لأن صاحب البيت قال لك: ائتني في الموعد المحدد، وإذا وجدت الباب مفتوحًا فهذا إذن، فالإذن لا فرق بين أن يكون سابقًا أو لاحقًا، ما دام قد علمت أن الرجل لم يفتح بابه إلا من أجل أن تدخل، وبينك وبينه موعد فادخل، ولكن لا بأس ـ بل الأولى بلا شك ـ أن تسلم عند الدخول لو لم يكن في ذلك إلا أن تحصل أجر السلام وثواب السلام والدعاء من أخيك حيث يقول لك: وعليك السلام.

أما الآية الثانية: فهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ ﴾ [النور: ٥٩].

إذا بلغوا الحلم يعني: بلغوا بالإنزال لكن كنى عنه بالحلم؛ لأن الغالب أن الإنسان لا يخرج منه المني أول ما يخرج إلا بالاحتلام،

وإن كان بعض الناس يبلغ بدون احتلام لكن الغالب أنه يحتلم، فإذا بلغ الطفل الحلم فإنه لا يدخل البيت إلا باستئذان، أما قبل ذلك فأمره هين، لكن هناك ثلاث عورات لابد من الاستئذان فيها: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ﴾ [النور: ٥٨].

الأولى: من قبل صلاة الفجر.

والثانية: وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة.

والثالثة: ومن بعد صلاة العشاء.

هذه الأوقات لابد فيها من استئذان، حتى الصغار لابد أن يستأذنوا، لأن الإنسان في هذه الأوقات الثلاث قد يكون متهيئًا للنوم وعليه ثياب لا يحب أن يطلع عليه أحد فلذلك لابد من الاستئذان في هذه الساعات الثلاث.

وأما بالنسبة للنظر ـ لنظر الطفل للمرأة ـ فليس مقيدًا بالبلوغ، بل هو مقيد بما إذا عرف من الطفل أنه ينظر إلى المرأة نظر شهوة، فإذا علم ولو لم يكن له إلا عشر سنوات فإنه يجب عليها أن تحتجب عنه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١]، يعني أزواجهن، إلى

أن قال: ﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النور: ٣١].

قال العلماء: الذين لم يظهروا على عورات النساء يعني: ليس لهم غرض في النساء ولا يطرأ على بالهم المرأة، بعض الأطفال عندما يتم له عشر سنوات وهو ينظر إلى النساء تشعر أنه ينظر إليهن نظر شهوة، وهذا يختلف كما قلت. قد يكون هذا الطفل يجلس مع قوم أكثر حديثهم في النساء فهذا تتربى فيه الشهوة الجنسية مبكرًا، وقد يكون عند قوم ليس همهم إلا الدرس وحفظ القرآن وما أشبه ذلك ولا يطرأ على بالهم هذا الشيء فلا تنمو فيه هذه الغريزة، على كل حال إذا عرفنا أن الطفل يطلع على عورة المرأة ويتكلم في النساء وأشبهت نظراته نظرة الإنسان المشتهي؛ فإنه يجب على المرأة أن تحتجب عنه ولو لم يكن له إلا عشر سنين مع أن العلماء رحمهم الله يقولون: يمكن لمن تم له عشر سنين أن يأتيه أولاد، يعني وعنده إحدى عشرة سنة، فلا تستغرب لو جاء له ولد إذا تزوج وجامع زوجه لا تستغرب، ويذكر أن عمرو بن العاص ليس بينه وبين ابنه عبد الله إلا إحدى عشرة سنة! يعني أبوه أكبر منه بعشر سنين ويمكن هذا وقال الشافعي رحمه الله: «رأيت جدة لها إحدى وعشرون سنة». وهي جدة؛ لأن المرأة يمكن أن تبلغ يعني يمكن أن تحيض، ولها تسع سنوات. فإذا قدرنا أنها تزوجت ولها تسع سنوات يعني

في العاشرة وحملت في أول سنة وأتت ببنت، ثم إن البنت لما تم لها تسع سنوات تزوجت في العاشرة، هذه عشرون سنة، يأتيها ولد في الحادي والعشرين فتكون جدته ـ أم البنت ـ والشافعي رحمه الله صدوق يقول: رأيت جدة لها إحدى وعشرون سنة.

والحاصل أنه إذا بلغ الطفل الحلم فلا يدخل البيت إلا باستئذان، وإذا اطلع على عورات النساء وصار يتكلم فيهن وينظر إليهن بشهوة، فإنه يجب أن تستتر المرأة عنه ولو لم يتم له إلا عشر سنوات، والله الموفق.

* * *

١٤٢ـ باب استحباب تشميت العاطس إذا حمد الله تعالى وكراهة تشميته إذا لم يحمد الله تعالى وبيان آداب التشميت والعطاس والتثاؤب

١/٨٧٨ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ اللهَ يُحبُّ العُطاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُب، فإا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحمدَ الله تَعالى كانَ حَقًّا على كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يقولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ الله، وَأَمَّا التَّثَاؤُب فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ ما اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إذا تَثَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطانُ» رواه البخاري[١].

٢/٨٧٩ ـ وعنه رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُل: الحَمْدُ لله، وَلْيَقُلْ لهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ الله. فإذا قال لهُ: يَرْحَمُكَ الله، فَليقُلْ: يَهدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ» رواه البخاري[٢].

٣/٨٨٠ ـ وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ الله فَشَمِّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ الله فَلاَ تُشَمِّتُوهُ» رواه مسلم[٣].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب إذا تثاءب فليضع يده على فيه، رقم (٦٢٢٦).
(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب إذا عطس كيف يشمت، رقم (٦٢٢٤).
(٣) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب، رقم =

٤ / ٨٨١ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: عَطَسَ رَجُلانِ عِنْدِ النبيِّ ﷺ، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّت الآخَرَ، فقال الَّذِي لَمْ يُشَمِّتْهُ: عَطَس فُلان فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ فَلَمْ تُشَمِّتْنِي؟ فقال: «هذا حَمِدَ الله، وإنَّكَ لَم تَحْمَدِ الله»[1] متفق عليه.

الشرح

قال المؤلف النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في رياض الصالحين باب استحباب تشميت العاطس إذا حمد الله تعالى وكراهة تشميته إذا لم يحمد الله تعالى وبيان آداب التشميت والعُطاس، والتثاؤب.

العطاس من الله عزَّ وجلَّ يحبه الله كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله يحب العطاس» والسبب في ذلك أن العطاس يدل على النشاط، والخفة، ولهذا تجد الإنسان إذا عطس نشط، والله سبحانه وتعالى يحب الإنسان النشيط الجاد، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»[2]، كلهم فيه الخير المؤمن القوي

= (٢٩٩٢).

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب لا يشمت العاطس إذا لم يحمد الله، رقم (٦٢٢٥)، ومسلم كتاب الزهد والرقائق، باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب، رقم (٢٩٩١).

(٢) رواه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز...، رقم (٢٦٦٤).

في إيمانه والضعيف، ولكن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

والعطاس يدل على الخفة والنشاط، فلهذا كان محبوبًا إلى الله، وكان مشروعًا للإنسان إذا عطس أن يقول: الحمد لله؛ لأنها نعمة أعطيها فليحمد الله عليها، فيقول الحمد لله إذا عطس سواء كان في الصلاة أو خارج الصلاة في أي مكان كان، إلا أن العلماء ـ رحمهم الله ـ يقولون: إذا عطس ـ وهو في الخلاء ـ أي في المرحاض، فلا يقول بلسانه: «**الحمد لله**»، ولكن يحمد بقلبه، أما بلسانه فلا؛ لأنهم يقولون ـ رحمهم الله ـ إن الإنسان لا يذكر الله في الخلاء، فإذا عطس الإنسان وحمد الله كان حقًّا على كل من سمعه أن يقول له: «**يرحمك الله**» فيدعو له بالرحمة جزاء له على حمده لله ـ عزَّ وجلَّ ـ فإنه لما حمد الله كان من جزائه أن إخوانه يدعون له بالرحمة.

وقوله: «**كان حقًّا على كل من سمعه**» ظاهره أنه يجب على كل السامعين بأعيانهم، ويؤيده قوله في الحديث الآخر: «**إذا عطس فحمد الله فشمتوه**».

وذهب بعض العلماء إلى أن تشميت العاطس فرض كفاية، يعني إذا قال واحد من الجماعة للعاطس الذي حمد الله: يرحمك

الله، كفى، لكن الاحتياط أن يشمته ـ أي يدعو له بالرحمة ـ كل من سمعه كما جاء في الحديث.

وأما التثاؤب: فإنه من الشيطان، ولهذا كان الله يكرهه. لماذا؟ لأن التثاؤب يدل على الكسل، ولهذا يكثر التثاؤب فيمن كان فيه نوم، والذي فيه النوم معروف أنه كسلان، فمن أجل أنه يدل على الكسل كان الله تعالى يكرهه، ولكن إذا تثاءب فالأولى أن يرده ـ أي يرد التثاؤب ـ يكظمه ويتصبر، قال العلماء: وإذا أردت أن تكظمه فعض على شفتك السفلى، وليس عضًّا شديدًا فتنقطع، ولكن لأجل أن تضمها حتى لا ينفتح الفم، فالمهم أن تكظم سواء بهذه الطريقة أو غيرها، فإن عجزت عن الكظم فضع يدك على فمك، وما ذكره بعض العلماء ـ رحمهم الله ـ أنك تضع ظهرها على الفم فلا أصل له، وإنما تضع بطنها، والسبب في ذلك أنَّ الإنسان إذا تثاءب ضحك الشيطان منه؛ لأنه ـ أي الشيطان ـ يعرف أن هذا يدل على كسله وعلى فتوره، والشيطان يحب من بني آدم أن يكون كسولاً فتورًا ـ أعاذنا الله وإياكم منه ـ ويكره الإنسان النشيط الجاد الذي يكون دائمًا في حزم وقوة ونشاط، فإذا جاءك التثاؤب فإن قدرت على أن تكظمه وتمنعه فهذا هو السنة وهذا هو الأفضل، وإن لم تقدر فضع يدك على فمك.

ولكن هل تقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؟» لا، لا تقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند التثاؤب؛ لأن ذلك لم يرد عن النبي ﷺ، فالنبي ﷺ علمنا ماذا نفعل عند التثاؤب ولم يقل: تعوذوا بالله من الشيطان الرجيم، وأمَّا ما اشتهر عند بعض الناس أن الإنسان إذا تثاءب يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فهذا لا أصل له، والعبادات مبنية على الشرع وليس على الهوى، لكن قد يقول بعض الناس: أليس الله يقول: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٦]، وقد أخبر النبي ﷺ أن التثاؤب من الشيطان، فهذا نزغ؟ نقول: لا، فقد فهمت الآية خطأً، فالمراد بقوله ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾. يعني الأمر بالمعاصي، أو بترك الواجبات لأن هذه نزغ الشيطان، كما قال تعالى فيه، إنه ينزغ بين الناس فهذا هو نزغه: الأمر بالمعاصي والتثبيط عن الواجبات، فإن أحسست بذلك فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أما التثاؤب فليس فيه إلا سنة فعلية فقط: وهي الكظم ما استطعت، فإن لم تقدر فضع يدك على فمك.

ومن آداب العطاس: أنه ينبغي للإنسان إذا عطس أن يضع ثوبه أو غترته على وجهه، قال أهل العلم. وفي ذلك حكمتان:

الحكمة الأولى: أنه قد يخرج مع هذا العطاس أمراض تنتشر

على من حوله.

الحكمة الثانية: أنه قد يخرج من أنفه شيء مستقذر تتقزز النفوس منه، فإذا غطَّى وجهه صار في ذلك خير، ولكن لا تفعل ما يفعله بعض الناس بأن تضع يدك على أنفك عند العطاس، فهذا خطأ؛ لأن هذا يحد من خروج الريح التي تخرج من الفم عند العطاس، وربما يكون في ذلك ضرر عليك.

وفي هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف دليلٌ على أن من عطس ولم يقل: الحمد لله فإنه لا يُقال له: يرحمك الله؛ لأن النبي ﷺ عطس عنده رجلان:

أحدهما: قال له الرسول ﷺ «**يرحمك الله**».

والثاني: لم يقل له ذلك.

فقال الثاني: يا رسول الله عطس فلان: فقلت له: يرحمك الله، وعطست فلم تقل لي ذلك؟ قال رسول الله ﷺ: «**إنه حمد الله، وإنك لم تحمد الله**».

وعلى هذا فإذا عطس إنسان ولم يحمد الله فلا تقل له: يرحمك الله، ولكن هل نذكره فنقول له قل: «الحمد لله؟» لا، الحديث هذا يدل على أنك لا تذكره؛ لأن الرسول ﷺ لم يقل: إذا عطس ولم يحمد الله فذكروه. بل قال: «لا تشمتوه» فنحن لا نقول: احمد الله،

ولكن فيما بعد علينا أن نخبره بأن الإنسان يسن له إذا عطس أن يحمد الله، ويكون هذا من باب التعليم، والله الموفق.

ولابد أن نسمعه؛ لأن الكاف يكون حمد العاطس مسموعًا، كما أن العاطس إذا قيل له: «يرحمك الله»، يقول: «يهديكم الله ويصلح بالكم»، أي: يصلح شأنكم، فتدعو له بالهداية وإصلاح الشأن، وبعض العامة إذا جاوب يقول: «يهدينا أو يهديكم الله» وهذا خلاف المشروع؛ لأن المشروع أنك تقول: يهديكم الله ويصلح بالكم. كما بينا. والله الموفق.

* * *

٦/٨٨٣ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ اليَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُمُ اللهُ فيقول: «يهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُم» رواه أبوداود والترمذي[1] وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٧/٨٨٤ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ

(١) رواه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء كيف تشميت العاطس، رقم (٢٧٣٩)، وأبوداود، كتاب الأدب، باب كيف يشمت الذمي، رقم (٥٠٣٨).

الله ﷺ: «إِذَا تَثَاوَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ» رواه مسلم(١).

الشرح

هذه الأحاديث في بيان ما يستحب عند العطاس، وقد سبق بيان شيء من ذلك منها حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يضع يده أو ثوبه على وجهه أو على فمه من أجل أن يكتم الصوت، يعني إذا عطست فضع ثوبك أو يدك على فمك حتى يخفض الصوت، واستحب العلماء ـ رحمهم الله ـ أن يضع ثوبه على وجهه من أجل ألا يخرج شيء مستقذر من أنفه فالغالب أنه يخرج منه شيء فلا يشاهد إذا كان قد غطاه، وأنه ربما يخرج مع العطاس أمراض مُعدية فتتعدى إلى الغير؛ فلهذا ينبغي لك إذا عطست أن تضع طرف ثوبك أو غترتك أو ما أشبه ذلك على وجهك حتى تحصل هاتان الفائدتان، ثم ذكر حديث أبي موسى أن اليهود كانوا يتعاطسون عند النبي ﷺ يعني يتكلفون العطاس: لعل الرسول يقول: يرحمكم الله؛ لأنهم يعلمون أنه نبي وأن دعوته مستجابة فيعطسون عنده لأجل أن يقول: يرحمكم الله ولكنه لا يقول ذلك؛ لأن الكافر لا يجوز أن

---

(١) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب، رقم (٢٩٩٥).

يدعى له بالرحمة ولا بالمغفرة لكن يدعى له بالهداية، ولهذا كان يقول لهم إذا عطسوا وقالوا الحمد لله قال لهم: «يهديكم الله ويصلح بالكم» فإذا عطس كافر عندك وقال الحمد لله لا تقل: يرحمك الله، قل: يهديكم الله ويصلح بالكم، كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك.

ثم ذكر ما رواه مسلم من فعل الرسول ﷺ عند التثاؤب أنه أمر بوضع اليد على الفم، وقد سبق أن الأفضل أن ترد التثاؤب ما استطعت، فإن لم تستطع فضع يدك على فمك؛ لأن الشيطان إذا لم تضع يدك على فمك يضحك منك ويدخل في جوفك أيضًا، ووضع اليد حماية لك من أن يدخل الشيطان في جوفك، والله الموفق.

* * *

١٤٣ ـ باب استحباب المصافحة عند اللقاء وبشاشة الوجه وتقبيل يد الرجل الصالح وتقبيل ولده شفقة ومعانقة القادم من سفر وكراهية الانحناء

١/٨٨٥ ـ عن أبي الخَطَّابِ قَتَادَةَ قال: قلتُ لأنَسٍ: أَكَانَتِ المُصافَحَةُ في أصْحَابِ رسولِ الله ﷺ؟ قال: نَعَمْ. رواه البخاري(١).

٢/٨٨٦ ـ وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: لمَّا جَاء أَهْلُ اليَمَنِ قال رسولُ اللهِ ﷺ: «قَدْ جَاءَكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، وَهُمْ أوَّلُ مَنْ جَاءَ بالمُصَافَحَةِ» رواه أبوداود(٢) بإسنادٍ صحيحٍ.

٣/٨٨٧ ـ وعن البَرَاءِ رضي الله عنه قال: قالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قبل أَنْ يَفْتَرِقَا» رواه أبوداود(٣).

٤/٨٨٨ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: قال رَجُلٌ: يا رسولَ الله، الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقى أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ، أَيَنْحَني لَهُ: قال: «لا» قال: أَفَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ؟ قال: «لا» قال: «فَيأخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟ قال: «نَعَمْ» رواه

(١) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب المصافحة، رقم (٦٣٢٦٣).
(٢) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب في المصافحة، رقم (٥٢١٣).
(٣) رواه الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في المصافحة، رقم (٢٧٢٧)، وأبوداود، كتاب الأدب، باب في المصافحة، رقم (٥٢١٢)، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب المصافحة رقم (٣٧٠٣).

الترمذي[١]، وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

هذا الباب عقده المؤلف النووي ـ رحمه الله ـ في كتاب رياض الصالحين في آداب السلام والاستئذان وما يتعلق بذلك، فمنها: المصافحة.

هل يسن للرجل إذا لقى أخاه أن يصافحه؟ والجواب: نعم يسن له ذلك؛ لأن هذا من آداب الصحابة رضي الله عنه كما سأل قتادة أنس بن مالك رضي الله عنه: هل كانت المصافحة في أصحاب النبي ﷺ؟ قال: نعم.

ويصافحه باليد اليمنى، وإذا حصل ذلك فإنه يغفر لهما قبل أن يفترقا، وهذا يدل على فضيلة المصافحة إذا لاقاه، وهذا إذا كان لاقاه ليتحدث معه أو ما أشبه ذلك، أما مجرد الملاقاة في السوق فما كان هذا من هدي الصحابة يعني لو مررت بالناس في السوق فيكفي أن تسلم عليهم وإذا كنت تقف إليه دائمًا أو تتحدث إليه بشيء فصافحه.

ثم إنه ينبغي أن نعرف أن بعض الناس إذا سلم من الصلاة إذا كانت فرضًا صافح أخاه من صلاة الفريضة يصافحه وأحيانًا يقول

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في المصافحة، رقم (٢٧٢٨).

له: «تقبل الله» أو «قبول... قبول»، وهذا من البدع، فما كان الصحابة يفعلون هذا، بل يكفي أن يسلم المصلى قائلاً: «السلام عليكم ورحمة الله» على يمينه، وعلى يساره «السلام عليكم ورحمة الله».

وأما الانحناء عند الملاقاة أو المعانقة والالتزام؛ فإن النبي ﷺ سئل عن ذلك أننحني؟ قال: لا. قال: أيلتزمه ويعانقه؟ قال: لا.

فإذا لاقاه فإنه لا يلتزمه ـ أي لا يضمه إليه ـ ولا يعانقه ولا ينحني له، والانحناء أشد وأعظم؛ لأن الانحناء فيه نوع خضوع لغير الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بمثل ما يخضع به لله من الركوع، فهو منهي عنه، ولكنه يصافحه وهذا كافٍ، إلا إذا كان هناك سبب للمعانقة أو التقبيل فإنه لا بأس به، كما لو قدم من سفر أو نحو ذلك، فإن قال قائل: كيف يكون قول الرسول ﷺ: «لا ينحني له» مع قول الله تعالى في إخوة يوسف لما دخلوا عليه آوى إليه أبويه: ﴿ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ [يوسف: ٩٩، ١٠٠]، فالجواب عن هذا: أن هذا من شريعة سابقة وشريعتنا الإسلامية قد نسخته، ومنعت من ذلك، فلا يجوز لأحد أن يسجد لأحد، وإن لم يرد بذلك العبادة، ولا ينحني له، حتى الانحناء منع منه الرسول ﷺ. فإذا لاقاك أحد يجهل هذا الأمر وانحنى لك،

فانصحه وأرشده، قل له: هذا ممنوع لا تنحني، ولا تخضع إلا لله وحده، وتقبيل اليد لا بأس به إذا كان الرجل أهلاً لذلك، والله الموفق.

* * *

٥/٨٨٩ ـ وعن صَفْوانَ بن عَسَّال رضي الله عنه أنه قال: قَالَ يَهُودِيٌّ لِصَاحِبِه: اذْهَبْ بِنَا إلى هَذَا النَّبيِّ، فَأَتَيَا رسولَ الله ﷺ، فَسَأَلاهُ عَنْ تِسْعِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ، فَذَكَرَ الحَديث إلى قولِهِ: فَقَبَّلاَ يَدَهُ وَرِجْلَهُ، وقالا: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ. رواه الترمذي وغيره[1] بأسانيد صحيحةٍ.

٦/٨٩٠ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قصة قال فيها: فَدَنَوْنَا مِنَ النَّبيِّ ﷺ فقبَّلنَا يَدَهُ. رواه أبوداود[2].

٧/٨٩١ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قَدِمَ زَيْدُ بنُ حَارِثَةَ المَدِينَةَ ورسول الله ﷺ في بَيْتِي، فأتَاهُ فَقَرَعَ البَابَ، فَقَامَ إِلَيْهِ النَّبيُّ ﷺ يَجُرُّ ثوبَهُ، فاعْتَنَقَهُ وقبَّله» رواه الترمذي[3]، وقال: حديثٌ حسنٌ.

٨/٨٩٢ ـ وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال لي رسولُ الله ﷺ:

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في قبلة اليد والرجل، رقم (٢٧٣٣)، والنسائي، كتاب تحريم الدم، باب السحر، رقم (٤٠٧٨).

(٢) رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب في قبلة اليد، رقم (٥٢٢٣).

(٣) رواه الترمذي، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في المعانقة والقبلة، رقم (٢٧٣٢).

«لا تَحقِرَنَّ مِنَ المعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بَوَجْهٍ طَلِيقٍ» رواه مسلم[١].

الشرح

هذه أحاديث ذكرها النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في رياض الصالحين في آداب المصافحة والمعانقة وما يتعلق بذلك. منها حديث صفوان بن عسال رضي الله عنه أن رجلاً يهوديًا قال لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا الرجل، يعني النبي ﷺ فذهبا إليه وأخبراه وذكر النبي ﷺ تسع آيات فقبّلا يده ورجله وقالا: نشهد أنك نبي.

واليهود كانوا في المدينة وكان أصلهم من مصر ـ من بني إسرائيل ثم انتقلوا إلى الشام ـ إلى الأرض المقدسة ـ التي قال لهم نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١]، وكانوا يقرؤون في التوراة أنه سيبعث نبي في آخر الزمان وأنه سيكون من مكة، ومهاجره المدينة، فهاجر كثير منهم من الشام إلى المدينة ينتظرون النبي ﷺ ليتبعوه؛ لأنه قد نوّه عن فضله ﷺ في التوراة والإنجيل عن فضل النبي ﷺ فقد قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، رقم (٢٦٢٦).

عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وكانوا إذا جرى بينهم وبين المشركين شيء يستفتحون على الذين كفروا يقولون سيبعث هذا النبي ونتبعه، ويفتح علينا به ونغلبكم كما قال تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩]، ثم إنهم صاروا ثلاث قبائل ـ أي اليهود في المدينة ـ بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة.

وعاهدهم النبي ﷺ لما قدم المدينة وكلهم نقضوا العهد، فطردوا من المدينة، آخرهم بنو قريظة قتل منهم نحو «سبعمائة نفر» لما خانوا العهد في يوم الأحزاب، وانتقلوا إلى «خيبر» وفتحها النبي ﷺ وأبقاهم فيها؛ لأنهم أصحاب مزارع يعرفون الحرث والزرع، والصحابة مشتغلون عن ذلك بما هو أهم فعاملهم النبي ﷺ قال لهم: «تبقون في محلكم في خيبر على أن لكم نصف الثمر والزرع وللمسلمين نصفه ونقركم في ذلك ما شاء الله»[1] وبقوا في عهد

---

(١) رواه البخاري، كتاب المزارعة، باب إذا قال رب الأرض أقرك ما أقرك الله...، رقم (٢٣٣٨)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع، رقم (١٥٥١).

الرسول ﷺ في خيبر، وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه.

ولما تولى عمر رضي الله عنه حصل منهم خيانة؛ لأن اليهود معروفون بالخيانة والغدر، فلما حصل منهم خيانة أجلاهم عمر رضي الله عنه من خيبر في السنة السادسة عشرة إلى «أذرعات» في الشام، هذا أصل وجود اليهود في الجزيرة العربية، كانوا ينتظرون النبي ﷺ ليتبعوه، ولكنهم والعياذ بالله لما جاء وبعث ورأوه عين اليقين كفروا، ولعلهم كانوا في الأول يظنون أنه سيكون من بني إسرائيل، هكذا قال بعض العلماء ولكن لما تبين أنه من بني إسماعيل حسدوهم ـ أي حسدوا بني إسماعيل ـ وكفروا، ولكن لا يتبين لي هذا؛ لأن الله يقول: ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٦]، فهم يعرفون أنه من العرب من بني إسماعيل، لكن ـ والعياذ بالله ـ فرق بين علم اليقين، وعين اليقين، هم كانوا في الأول يظنون أنه إذا بعث يتبعونه بسهولة ولكنهم حسدوه ـ والعياذ بالله ـ.

الحاصل أن هذين الرجلين قبّلا يد النبي ﷺ ورجله، فأقرهما على ذلك ففي هذا جواز تقبيل اليد والرجل للإنسان الكبير للشرف والعلم، وكذلك تقبيل اليد والرجل من الأب والأم وما أشبه ذلك، لأن لهما حقًّا، وهذا من التواضع.

وذكر المؤلف أيضًا حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتينا

النبي ﷺ فقبلنا يده. وأقرهما النبي ﷺ على ذلك.

وتقبيل اليد كتقبيل الرأس ليس بينهما فرق، لكن عجبًا أن الناس الآن يستنكرون تقبيل اليد أكثر مما يستنكرون تقبيل الرأس، وهو لا فرق بينهما، لكن الذي ينتقد من بعض الناس أنه إذا سلَّم عليه أحد مدَّ يده إليه وكأنه يقول: «قَبِّل يدي» فهذا هو الذي يستنكر ويُقال للإنسان عندئذ «لا تفعل» أما من يقبلون يدك تكريمًا وتعظيمًا وتبجيلاً، أو رأسك أو جبهتك فهذا لا بأس به، إلا أن هذا لا يكون في كل مرة يلقاك؛ لأنه سبق أن الرسول سئل عن ذلك هل إذا لاقىٰ الرجل أخاه أينحني له؟ قال: «لا». قال: أيقبله ويعانقه؟ قال: «لا». قال: أيصافحه؟ قال «نعم»[١]. لكن إذا كان لسبب فلا بأس؛ كقدوم الغائب، ولهذا ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديث عائشة رضي الله عنها في قدوم زيد بن حارثة حين جاء إلى النبي ﷺ واستأذن فقام الرسول ﷺ إليه يجر ثوبه، وزيد بن حارثة مولى للرسول ﷺ، يعني: كان عبدًا مملوكًا للرسول ﷺ أهدته إليه خديجة رضي الله عنها فأعتقه ولكن الرسول ﷺ كان يحبه ويحب ابنه أسامة، ولهذا يسمى أسامة حب رسول الله ﷺ فهو محبوب من رسول الله وابنه أسامة كذلك.

(١) رواه الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في المصافحة، رقم (٢٦٥٢).

فالحاصل أن الرسول قام يجر رداءه أو ثوبه فعانقه وقبّله؛ لأن زيد بن حارثة رضي الله عنه كان قادمًا من سفر، فإذا كان عند القدوم من السفر؛ فهذا لا بأس به، أما كلَّما لاقاك يقبلك؛ فهذا نهى عنه الرسول ﷺ.

كذلك أيضًا أوصى النبي ﷺ أن الإنسان لا يحقر من المعروف والإحسان شيئًا منه أبدًا، لا تقل: هذا قليل حتى ولو تعطيه قلمًا أو شيئًا قليل القيمة ماديًا ساعة من الساعات، بعشرة ريالات أو ما أشبه ذلك، فلا تحقر شيئًا، فإن هذا يذكر الإنسان ولو بعد حين، يقول: هذا الرجل أهداني سنة كذا وكذا، فكل شيء يجلب المودة والمحبة بين الناس لا تحقره، ولهذا قال الرسول ﷺ: **«لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»**[(١)] يعني غير عبوس.

لكن أحيانًا يغلبنا عدم التوسع في هذا الأمر، ربما أن نلقى بعض الناس بوجه عبوس لسبب أو لآخر، فقد يكون هناك أسباب خفية يكون الإنسان مثلاً متأثرًا فيها، والناس لا يعلمون فلا يحصل أن يلقى الإنسان الناس دائمًا بوجه طليق، إنما حاول أن تلقى إخوانك بوجه طليق منشرح؛ لأن هذا من المعروف وسبب للمودة والمحبة، والدين الإسلامي دين المحبة والوفاء والأخوّة كما قال

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في إكثار ماء المرقة، رقم (١٧٥٦).

تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، نسأل الله أن يهدينا وإياكم إلى أحسن الأخلاق والأعمال فلا يهدي إلى أحسنها إلا هو، وأن يصرف عنا سيء الأخلاق، والأعمال فلا يصرف عنَّا سيئها إلا هو.

ملحوظة: بعض الأبناء في بعض الدول قد يقبلون رجل والديهم، نقول: أنه ليس لازمًا تقبل رجله، لكن لو قبلها فلا بأس، ولكنه إن كان واقفًا فلا يقبل رجله، أما إن كان جالسًا أو مادًّا رجليه فلا بأس بذلك، ولكنه ليس بلازم.

* * *

٨٩٣/٩ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَبَّلَ النَّبِيُّ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَقَالَ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ: إِنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلتُ مِنْهُمْ أَحَدًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ لاَ يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ!» متفقٌ عليه(١).

الشرح

هذا الحديث ذكره النووي ـ رحمه الله تعالى ـ فيما يتعلق

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم (٥٥٣٨)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، رقم (٤٢٨٣).

بالمعانقة والتقبيل وما أشبه ذلك.

ومن ذلك تقبيل الصغار؛ رحمة بهم وشفقة وإحسانًا وتوددًا، فإن النبي ﷺ قبّل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، والحسن هو ابن فاطمة بنت محمد ﷺ يعني أن النبي ﷺ جده من قبل أمه، وكان النبي ﷺ يحب الحسن والحسين رضي الله عنهما ويقول: «**إنهما سيدا شباب أهل الجنة**»[1] لكن الحسن أفضل من الحسين، ولهذا قال له النبي ﷺ: «**إن ابني هذا سيد وسوف يصلح الله به بين فئتين من المسلمين**»، ولذلك لما استشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قتله الخارجي كان الذي تولى الخلافة بعده الحسن ابنه الأكبر والأفضل رضي الله عنه، ولكنه لمّا رأى أن منازعته لمعاوية الخلافة سيحصل فيها سفك دماء وقتل وضرر عظيم؛ تنازل رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه تنازلاً تامًّا درءًا للفتنة، وائتلافًا للأمة، فأصلح الله به بين الأمة، وصار له بهذا منقبة عظيمة، حيث تنازل عما هو أحق به لمعاوية رضي الله عنه درءًا للفتنة، فكان ذات يوم عند النبي ﷺ وعنده الأقرع بن حابس من سادات بني تميم، فقبل النبي ﷺ

---

(١) رواه الترمذي، باب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين، رقم (٣٧٠١)، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل علي بن أبي طالب، رقم (١١٥).

الحسن فكأن هذا الرجل ـ الأقرع ـ الجافي استغرب: يعني كيف تقبل هذا الطفل! فقال: إن لي عشرة من الأولاد ما قبَّلت واحدًا منهم فقال النبي ﷺ: «من لا يرحم لا يُرحم» يعني من لا يرحم الناس لا يرحمه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ والعياذ بالله، ولا يوفقه لرحمة.

فدل ذلك على جواز تقبيل الأولاد الصغار رحمة وشفقة ـ سواء كانوا من أولادك أو من أولاد أبنائك أو من أولاد بناتك أو من الأجانب؛ لأن هذا يوجب الرحمة، أن يكون في قلبك رحمة للصغار، وكلما كان الإنسان بعباد الله أرحم؛ كان إلى رحمة الله أقرب، حتى إن الله عزَّ وجلَّ غفر لامرأة بغي زانية، حين رحمت كلبًا يأكل الثرى من العطش، يحفر الثرى، والثرى رطب فهو يمصّه ليحصل على شيء من الماء، فنزلت وأخذت بخفها ماءً أسقته هذا الكلب فغفر الله لها[1] ـ مع أنها سقت ورحمت كلبًا ـ ولكن إذا جعل الله في قلب الإنسان الرحمة لهؤلاء الضعفاء فإن ذلك دليلٌ على أنه سوف يُرحم بإذن الله عزَّ وجلَّ. نسأل الله أن يرحمنا وإياكم.

فقال النبي ﷺ: «من لا يَرحم لا يُرحم» فدلَّ ذلك على أنه ينبغي للإنسان أن يجعل قلبه لينًا عطوفًا رحيمًا، خلاف ما يفعله بعض

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم (١٣٢٠٨)، ومسلم، كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم...، رقم (٤١٦٣).

الجفاة من الناس حتى إنه إذا دخل الصبي عليه وهو في المقهى انتهره ونزره وأرجعه فهذا خطأ بل ارحم الصبيان ما أحسنوا فإن أساءوا الأدب علمهم، ولكن لا تطردهم، فها هو النبي ﷺ أحسن الناس خلقًا وأكرمهم أدبًا، جاء يومًا من الأيام وهو ساجد يصلي بالناس، فأتى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فركب عليه وهو ساجد كما يفعل الصبيان، وتأخر ﷺ في السجود، فكأن الصحابة تعجبوا من ذلك لماذا تأخر ﷺ؟! فقال: «**إن ابني ارتحلني ـ يعني جعلني راحلة له ـ وإني أحببت ألا أقوم حتى يقضي نهمتهْ**» هذه من الرحمة، وفي يوم آخر كانت أمامة بنت زينب، وزينب بنت الرسول ﷺ كانت صغيرة فخرج بها الرسول ﷺ إلى المسجد فتقدم يصلي بالناس وهو حامل هذه الطفلة، إذا سجد وضعها على الأرض، وإذا قام حملها[١]، كل هذا رحمةً بها وعطفًا، وإلا فمن الممكن أن يقول لإحدى نسائه ـ رضي الله عنهن ـ: «**خذي البنت**» لكن رحمة، ربما أنها تعلقت بجدها ﷺ فأراد أن يطيب نفسها، فجاء بها يصلي بالناس وهو يحملها، وفي

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا حمل جارية صغيرة على عتقه في الصلاة، رقم (٤٨٦)، ومسلم، كتاب المساجد، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة، رقم (٨٤٤).

يوم من الأيام كان يخطب الناس وكان على الحسن والحسين ثوبان لعلهما جديدان وكان فيهما طول فجعلا يمشيان ويتعثران، فنزل من على المنبر وحملهما بين يديه ﷺ وقال صدق الله: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾(١) [التغابن: ١٥]، وقال: إنه رأى هذين الولدين يتعثران يعني فما طابت نفسه حتى نزل فحملهما.

الحاصل أن الذي ينبغي لنا أن نعود أنفسنا على رحمة الصبيان وعلى رحمة كل من يستحق الرحمة من اليتامى والفقراء والعاجزين وغيرهم، وأن نجعل في قلوبنا رحمة، ليكون ذلك سببًا لرحمة الله إيانًا؛ لأننا نحن أيضًا محتاجون إلى رحمة الله، ورحمتنا لعباد الله سبب لرحمة الله لنا، نسأل الله أن يعمَّنا وإياكم برحمته.

* * *

---

(١) رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين، رقم (٣٧٧).